جـــامعة الأزهـــــر
كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها
بطنـــــــطا

"عظيمُ قدرِهِ ومكانتهِ ﷺ
في القراءاتِ القرآنيةِ

إعداد

د. جمعة حمادة علي عبدالعزيز
مدرس القراءات بكلية القرآن الكريم جامعة الأزهر بطنطا

٤٤ / ١٤٤٥هـ = ٢٠٢٣م

عظيم قدره ومكانته صلى الله عليه وسلم في القراءات القرآنية
جمعة حمادة علي عبدالعزيز
قسم القراءات ، كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها ، جامعة الأزهر، طنطا.
الإيميل الجامعي: gomaah91@azhar.edu.eg

ملخص البحث :
مما لا شك فيه أنَّ مكانةَ النبي ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ عظيمةٌ، وقدره كبير، لا يشكُّ في ذلك شاكٌّ ذو بصر؛ وهذا ما جعلني أحاول الوصول لإظهار هذا التعظيم الذي احتفى به شخصه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم، وصفاته الوضَّاءة الكريمة من خلال هذا البحث.
ومما بيَّن هذه المكانةَ وأظهرها في أبهى صورها القراءات المتنوعة الواردة في نطاق هذا البحث؛ فقد تتبعتُها على اختلاف مواضعها محاولًا استخراج جواهرها المكنونة التي تُفصح عن عظيم مكانته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم.
وقد أجاب البحثُ عن سؤال مفاده: هل أوضحت القراءات القرآنية المتنوعة عظمةَ ومكانةَ النبي ـ صلى الله عليه وسلم؟.
ثم إنَّ هذا البحث ـ من خلال ما ورد فيه من تنوع للقراءات القرآنية ـ يبين مكانة النبي ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ عند ربه ـ جلَّ وعلا .
ومما زاد هذا البحث أهميةً: الرد على الهجمات الشرسة التي يتعرض لها شخصه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بعض المستشرقين وأعداء الدين بين الفينة والأخرى من خلال الموازنة بين ما أورده بعضُهم وبين ما ورد من تنوع في القراءات القرآنية يرد عليهم خللَ صدورهم قبل سطورهم.
كما يُسهم البحث في سطوره في زيادة الحصيلة العلمية لدى الدعاة المشتغلين بإظهار حميد صفاته، وبدفع الطعن عنه ـ صلى الله عليه وسلم.
كما يؤكد هذا البحثُ على ضرورة إعمال البصر والبصيرة في القراءات المتنوعة في قصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لإظهار مكانتهم العالية، وأنَّ قرآننا يتسع للجميع تعظيمًا وتكريمًا .
الكلمات المفتاحية: تعظيم، النبي ، تنوع، القراءات، مكانة.

great is his great position and prestige, God bless him and grant him peace in the Qur'an readings

Jomaa Hamada Ali Abdel-Aziz
Department of Readings, Holy Koran Faculty of Readings and Sciences, Al-Azhar University, Tanta, Egypt.
Email: gomaah91@azhar.edu.eg

Abstract:

There is no doubt that the Prophet's prestige is great, and he is greatly esteemed; This is what made me try to reflect this greatness, which was celebrated by his honorable person, peace be upon him, and his honorable, illuminating qualities through this research

This status was illustrated and reflected in the best of all the various readings in the scope of this research; I followed her in all her positions, trying to extract her hidden jewels, which reveal the greatness of his stature, peace be upon him.

The research answered the question: Did the various Quranic readings make clear the greatness and status of the Prophet?.

Moreover, this research, through the diversity of Qur'anic readings, shows the place of the Prophet peace be upon him, with Allah the Almighty .

This research has increased its importance: Responding to the vicious attacks that the Prophet, peace be upon him, is subjected to by some Orientalists and enemies of religion from time to time, by balancing what some of them mentioned with the diversity of the Quranic readings that are answered during their issuance before their lines.

The research also contributes in its outlines to increasing the scientific results of preachers who are engaged in displaying his qualities and in pushing the appeal against him.

This research also emphasizes the need to realize the vision and vision in the various readings in the stories of the prophets, who have to pray and peace to show their high position, and that our Quran is for all to be magnified and honored.

keywords: magnification, prophet, diversity, readings, prestige.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، ويسره للذكر فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر / ١٧] ، وأذن للتالين أن يتلوه ويرتلوه على سبعة أحرف، تخفيفا علَيهم وتهوينا، والصلاة والسلام على النبي الأمين، الموصوف في محكم الكتاب بأنه ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١٢٨] .

أمَّا بعد:

فإنَّ علم القراءات القرآنية من أشرف العلوم وأجلها، فهو آيةٌ دالَّةٌ على كمال رحمة الله تعالى حيث أنزله على سبعة أحرف تخفيفا وتيسيراً، فعن أبي بن كعب « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: "إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ»، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا" (١).

وقد أسهم هذا التنوع القرائي في الهداية والبيان والإعجاز والتنويع في الأحكام الشرعية وغيرها من الفوائد الجمَّة.

وقد رأيتُ أنَّه من الجميل تسليط الضوء ـ من خلال هذا التنوع القرائي ـ على

---

(١) ينظر: صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري: ١/ ٥٦٢، ح رقم:٨٢١، باب :(بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه) ، ت/ محمد فؤا عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

شخص وصفات مَن أكرمنا الله تعالى به رسولا وقدوةً ﷺ ، مَن شهد له المسلمون وغيرهم بعظيم خلقه، ورقيِّ صفاته، وأوصلهم رحمًا، وأمضاهم عزيمةً، وأكثرهم صدقًا، وأوفاهم عهدًا، وأقدمهم شجاعةً.

أسباب اختيار الموضوع:

كان لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب، من أهمها: -

١ـ الرَّغبة في إظهار عظيم مكانة النبي ﷺ من خلال القراءات القرآنية المتنوعة وما حوته من كنوز وأسرار تبرز شخصيته الكريمة .

٢ـ الحاجة إلى جمع أسرار تنوع القراءات في مقام الحديث عن شمائله وصفاته ﷺ؛ لتظهر القدوة لكل مريديها .

٣ـ تضافر القراءات المتنوعة على إفادة مكانتهﷺ عند ربِّ العزة ـ جلَّ وعلا، وعند الناس.

٤ -حاجة الناس إلى معرفة ما يجب عليهم تُجاه النبي ﷺ بعد وفاته .

٥ ـ رد بعض الطعون الواردة من الكارهين لشخصه الكريم ﷺ من خلال ما ورد من قراءات متنوعة .

أسئلة البحث

يأمل الباحث أن يجيب هذا البحثُ عمَّا يلي:

١ ـ هل أوضحت القراءات القرآنية المتنوعة عظمةَ ومكانةَ ﷺ؟.

٢ ـ ما الواجب علينا نحن المسلمين تُجاهه ﷺ بعد موته، وإلام ترشدنا القراءات المختلفة؟، وكيف نستفيد من القراءات التي تخاطب الصحابة عن تعظيمه ﷺ ؟، وهل مضى زمن العمل بها.

٢ ـ هل نستطيع الموازنة بين ما ورد من طعون على شخصه الكريم ـ ﷺ، وبين ما ورد من ردود مفحمة لدحضها وبيان فريتها من خلال القراءات القرآنية ؟.

أهداف البحث:

١ ـ إنَّ هذا البحث ـ من خلال ما ورد فيه من تنوع للقراءات القرآنية ـ يبين مكانة ﷺ عند ربه ـ جلَّ وعلا .

٢ ـ كما يلفت البحث أنظارَ القارئين والباحثين إلى ما كان واجبًا على الناس تُجاهه ﷺ في عصره، وما يجب عليهم بعد وفاته ، والحقيقة: أنَّ هذه القراءات تظهر في جلاءٍ أنَّ النبيﷺ ما مات، ولم يمت في نظر محبيه وتابعيه .

٣ ـ كما وقف البحث على أحوال النَّبي ﷺ المختلفة، وكيف كانت صفات الرحمة واللين به على اختلاف مواقف حياته ﷺ .

٤ ـ أبان البحثُ عن بعض الأمور التي يجب على المسلمين جميعا أن يجتنبوها في حقِّه ﷺ؛ فيجب على كل سامع أن يلتزم ويذعن لمراد ما ورد .

٥ ـ ومما زاد هذا البحث أهميةً: الرد على الهجمات الشرسة التي يتعرض لها شخصه الكريم ﷺ من بعض المستشرقين وأعداء الدين بين الفينة والأخرى من خلال الموازنة بين ما أورده بعضُهم وبين ما ورد من تنوع في القراءات القرآنية يرد عليهم خللَ صدورهم قبل سطورهم.

٦ ـ كما يُسهم البحث من خلال سطوره في زيادة الحصيلة العلمية لدى الدعاة المشتغلين بإظهار حميد صفاتهﷺ ، وبدفع الطعن عنه ﷺ .

الدِّراساتُ السَّابِقَةُ :

لم أقف فيما وقفتُ عليه بحثًا وتنقيبًا وتيسر لي من مصادر ومراجع ـ إلى تاريخ البدء في هذا البحث ـ على أيِّ بحثٍ قد تناول تعظيمَ النبي ومكانَته ﷺ في القراءات القرآنية .

خطة البحث:

تتألف خطة البحث من فصلين، يوطئ لها بمقدمة، وتقفوهما خاتمة، ثم فهارس علمية، وذلك على النحو التالي:

المقدمة وتشتمل على الحديث عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وخطة البحث، ومنهجه .

وأما فصلا البحث فهما :

الفصل الأول: مكانة النبي ﷺ عند ربِّ العزَّة جلَّ وعلا، وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: اشتقاق صفات من صفاته جلَّ وعلا لحبيبه ـ ﷺ، ووصفه بالهداية، وتسلية قلبه ﷺ، وتزكية طاعته ﷺ وإرشاده إلى الأفضل له ولأمته .
- المبحث الثاني: ختم الأنبياء به، وإبقاؤه ﷺ أسوة طيبة، ورفع الحرج عنه ﷺ من عدم إيمان قومه، ومنعه من الحزن عليهم.
- المبحث الثالث: إبراز مكانة نسائه، وأصحابه ﷺ .

الفصل الثاني: إظهار مكانته ـ ﷺ وتعظيمه عند الناس، وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: تعزيره وتوقيره ﷺ، وتقديم قوله وفعله ﷺ، وملازمة الصلاة عليه ﷺ.
- المبحث الثاني: جزاء من عصوه ﷺ، ومصير المستهزئين به ﷺ .

وأما الخاتمة: ففيها أهم نتائج البحث، والتوصيات.

ثم الفهارس العلميّة: وتتضمن: فهرس المصادر والمراجع .

منهج البحث :

اعتمد البحث على المنهج الوصفي بجانب المنهج التحليلي، مع ما يتطلبه العرض من نقد، أو تعليل، أو غير ذلك، وكانت طريقة تناول البحث للكلمة القرائية موضع الخلاف النحو الآتي:

أولًا: وصف القراءات الواردة في الآية، ونسبتها، وعزوها إلى أصحابها.

ثانيًا: التحليل اللغوي والتركيبي للكلمة القرائية موضع الخلاف .

ثالثًا: بيان علاقة القراءات بسياقها من السورة .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي .

الفصل الأول
مكانة النبي ﷺ عند ربِّ العزَّة جلَّ وعلا،

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اشتقاق صفات من صفاته جلَّ وعلا لحبيبه ـ ﷺ، ووصفه بالهداية، وتسلية قلبه ﷺ ، وتزكية طاعته ﷺ وإرشاده إلى الأفضل له ولأمته .

المبحث الثاني: ختم الأنبياء به ﷺ، وإبقاؤه ﷺ أسوة طيبة، ورفع الحرج عنه ﷺ من عدم إيمان قومه، ومنعه من الحزن عليهم.

المبحث الثالث: إبراز مكانة نسائه، وأصحابه ﷺ .

المبحث الأول: اشتقاق صفات من صفاته جلَّ وعلا لحبيبه ـ ﷺ، ووصفه بالهداية، وتثبيت قلبه ﷺ، تزكية طاعته ﷺ وإرشاده إلى الأفضل له ولأمته

وفيه أربعة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول: اشتقاق صفات من صفاته جلَّ وعلا لحبيبه ـ ﷺ .

المطلب الثاني: وصف النبي ﷺ بالهداية .

المطلب الثالث: تسلية قلبه ﷺ، وأمره بالصبر .

المطلب الرابع: إرشاد الله جلَّ وعلا نبيَّه ﷺ إلى الأفضل له ولأمته ﷺ .

ولتفصيل هذه المطالب من خلال تنوع القراءات القرآنية أقول:

المطلب الأول: اشتقاق صفة من صفاته جلَّ وعلا لحبيبه ـ ﷺ .

اشتقَّ الله لحبيبه ﷺ صفات من صفاته، من هذه الصفات ما لم يتخلف فيه قرائيا، ومنهاما اختُلِف فيه قرائيا، وهي صفة الرأفة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التَّوبة:١٢٨] .

أولًا: وصف القراءة ونسبتها:

١ ـ قرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وابن عامر وحفص وأبو جعفر(رءوف) بواوٍ بعد الهمزة.

٢ ـ وقرأ أبو عمروٍ ويعقوبُ وحمزة والكسائيُّ وخلف وشعبة (لرؤف) بقصر الهمزة من غير واو[1].

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرآنية موضع الخلاف:

---

(١) ينظر: التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت/ ٤٤٤ هـ): صـ ٢٨٧، ت/ خلف حمود سالم الشغدلي، الناشر: دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى، ١٤٣٦ هـ = ٢٠١٥ م، وتحبير التيسير في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت/ ٨٣٣هـ): صـ :٢٩٦، ت/ أحمد محمد مفلح القضاة، الناشر: دار الفرقان ، عمَّان، الأردن، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري أيضًا: ج٣/ ١٤٤٩، ت/ جمال الدين محمد شرف، الناشر: دار الصحابة للطبع والنَّشر، الغربية، جمهورية مصر العربية، ط/ الأولى، ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م.

تعود القراءتان السابقتان إلى الجذر اللغوي (رأف)، والذي يدل على: الرحمة واللين والعطف[١].

وقد وجَّه العلماء القراءتين السابقتين بأنَّ تنوعَهما لغتان؛ فالقصر بزنة فعُل، وبالمد بزنة فعول، فقد ذكر الفارسي أنَّ وجه قراءة(رؤف) هو: أنَّ (فَعُولًا) بناء أكثر في كلامهم من (فَعُل)، وأنَّ باب (ضروب وشكور) أكثر من باب حذر، وحدث، ويقظ، وإذا كان أكثر ذلك على ألسنة العرب كان أولى مما هو بغير هذه الصفة؛ ويؤكد ذلك: أنَّ هذا البناء قد جاء عليه من صفات، غير هذا الحرف نحو: (غفور وشكور)، ولا نعلم (فَعُلًا) فيها .

ومن قرأ(رؤف)؛ فقد زعموا أنَّ ذلك الغالب على أهل الحجاز"[٢] .

قلت: ولما كانت رأفته ﷻ بعباد الله المؤمنين نابعةً من رحمة الله تعالى بهم، وتفوق رآفات كل البشر ورحماتهم؛ استحق هذا الوصفَ العظيم منه تعالى تكريمًا وتعظيمًا وتفضلًا، ومن أجل ذلك جاء تسليط الضوء عليها من خلال القراءتين الكريمتين .

ثالثًا: بيان علاقة القراءتين بسياقهما من السورة:

---

(١) ينظر: كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ):ج ٨/ ٢٨٢، ت/ مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ط/ ...، والمفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى (ت/ ٥٠٢هـ) :ج١/ ٤٣٦، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط/ ...، ولسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت: ٧١١هـ): ج٩/ ١١٢، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة ، ١٤١٤ هـ .

(٢) ينظر: الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، أبي علي (ت/ ٣٧٧هـ): ج٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، ت: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق ، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣م .

لَمَّا أُمِر ﷺ أن يبلغ الأمة هذه الأشياء الشاقة جداً من أمر هذه السورة ـ سورة التوبة، ومن المعلوم أنَّه لا يستطيع حملها إلا بتوفيق من الله تعالى، أما المنافقون فيكرهون هذا، ويظهر ذلك جليًّا في انصرافهم عن طاعته ﷺ؛ أخبرهم الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ الأمر كان يقتضي توفر دواعيهم على محبة هذا الداعي وملازمته واجتناب مخالفته والبعد عنه، وأن أحواله ﷺ الداعية لهم إلى محبته أعظم من أحوال آبائهم التي أوجبت لهم منهم من المحبة وعليهم من الحقوق ما هم مفتخرون بالتلبس به والمغالاة فيه، وأنَّه لن يحصل على عزٍّ أو شرفٍ إلا من آمن بالقرآن الكريم؛ فقال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ... ﴾ أي: ترجعون في النسبة معه إلى نفس واحدة؛ بأنكم لأب قريب، وذلك أقرب لكم إلى الألفة وأسرع إلى فهم الحجة (عزيز) قاس جدا وشديد (عليه ما عنتم) وهو الأذى الذي يضيق به صدره ﷺ من عدم إيمانكم، (حريص عليكم) أي شديد الاجتهاد والحرص على نفعكم، وتقديم الجارفي (بالمؤمنين) لإفادة الاختصاص، وبعدما ذكر الوصف المقتضي للرسوخ؛ قدَّم ما يقتضي العطف على من يتسبب له بما يقتضي الوصلة فقال تعالى: (رءوف رحيم) أي شديد الرحمة لمن له منه عاطفة وصلة[1].

رابعًا: أسرار التنوع القرائي :

١ ـ السر في قراءة القصر:

أ ـ ألمح في هذه القراءة قصرَ بقاءِ رأفته ورحمته ﷺ لمن التزم المنهج وطبَّقه، فليس هنالك شفاعة ولا رجاء خير ـ يوم القيامة ـ لعبد لم يؤمن به ﷺ في الدنيا، وفي تقديم الجار والمجرور (بالمؤمنين) ما يفيد ذلك من اقتصار وقيد .

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ): ج٩/ ٥٥ـ٥٦، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط/ ... .

ب ـ كما ألحظ فيها أنَّ قليلًا من رأفته ﷺ بالمؤمنين أكثر من رأفة أي مخلوق آخر بهم؛ مهما عظمت في نظر الرائي هذه الرحمة، وفي هذا ما يرشد إلى ضرورة اتباعه لنيل هذه الرأفة.

ج ـ كما تظهر لي جوهرة مكنونة في هذه القراءة الكريمة وهي: تسلية قلب النبي ﷺ من عدم إيمان قومه، فكأنَّها تحوي رسالةً مفادها: رأفتك التي أودعناها فيك يا رسول الله للمؤمنين فقط، وليست لكافر؛ فلا تحزن وإن كثروا.

٢ ـ السر في قراءة المد :

أـ ألحظ في هذه القراءة امتدادَ رحمته ﷺبأتباعه لمؤمنين في الدنيا والآخرة؛ فقد كان ﷺ محبًّا لهم في الدنيا، شديد الحرص على نفعهم والدعاء لهم، تاركًا لهم إرثًا عظيما من الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة التي تصل بهم حيث النجاة الدائمة، وفي الآخرة هنالك الشفاعة العظمى طمعًا في نجاة جميع المؤمنين .

ب ـ كما ألمح فيها عمومَ وشمولَ رحمته ﷺ بكل هؤلاء المؤمنين، فهناك عصاة يذهبون تارة ويعودون، وهنالك ملتزمو النهج، وهناك من أسلم ثم مات ولم يقض في إسلامه إلا الوقت القصير، وكل هؤلاء تعمهم بفضل الله وكرمه رأفة حبيبه ﷺ.

ج ـ كما تشتمل هذه القراءة الكريمة على الواو وهي أم الضمَّة، وفيها مكنون الألفة وروح المودة، فليست الرحمة الشديدة منه ﷺ في موقف واحد كحزن المؤمن، أو مُصابه مثلاً، بل منهج دائم لرسول الله يستشعره فيه ـ ﷺ ـ من لقيه ﷺ وآمن به، ومن آمن به ﷺولم يره .

وفي اجتماع القراءتين ما يشير إلى تعظيم الله تعالى له ﷺ؛ حيث اشتقَّ له من صفاته؛ لتفرد صفاتهﷺ، وعلوها على صفات باقي المخلوقين.

كما تشيران إلى قصر رحمته ﷺ على المؤمنين، وامتداد هذه الرحمة لتشملهم في جميع أمور حياتهم ، وتعمهم في الدنيا والآخرة .

*****

المطلب الثاني: وصف النبي ﷺ بالهداية.

من صور تعظيم الله لنبيه ﷺ وصفُه بالهداية إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا خسران؛ فقد قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى٥٢ـ٥٣].

أولًا: وصف القراءة ونسبتها:

١ ـ قرأ قنبل ورويس بالسين ـ في الموضعين ـ هكذا: (سراط).

٢ ـ وقرأ خلف عن حمزة بإشمام الصاد صوت الزاي.

٣ ـ وقرأ الباقون بالصاد هكذا: (الصراط)[١].

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرآنية موضع الخلاف:

يلحظ أن القراءات الثلاث السابقة تختلف من حيث اشتقاقها؛ ولكنَّ الأصل السين وهي من السرط بمعنى البلع، قال الرَّاغب:" السراط: الطريق المستسهل، أصله من سرطت الطعام وزردته: ابتلعته، فقيل: سراط، تصورا أنه يبتلعه سالكه، أو يبتلع سالكه"[٢].

أما الصراط ـ بالصاد: فهو الطريق المستقيم، ويقال له: سراط أيضًا[٣]، وهو أخف على اللسان؛ حيث التقارب بينها وبين الطاء؛ فكلاهما حرف مطبق[٤].

أما قراءة الإشمام فهي على إبدال الصاد حرفًا مجهورًا؛ حتى يشبه الطاء في الجهر، فهو أخف من حيث الصفة، ويحتجُّ للقراءات الثلاث السابقة بقول العرب: صقر، وسقر، وزقر[١].

---

(١) ينظر: التيسير :صـ ١٢٩ ـ ١٣٠، وتحبير التيسير: صـ ١٨٦، والنشر: ج١/ ٥٨٦.

(٢) المفردات للراغب: ج١/ ٤٧١.

(٣) ينظر: السابق:ج١/ ٥٧٩.

(٤) ينظر: الحجة للفارسي: ج١/ ٤٩ ـ ٥٠.

والحقيقة أقول: إنَّ كلمةَ الموجهين للقراءات الثلاث السابقة تتقارب ووجهة نظر الفارسي، فالأمر عندهم لا يتعدى الخلاف اللغوي بين هذه القراءات الكريمة[٢]

.

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة.

لما كان هنالك إنكار من الكافرين بهداية النبي ﷺ وإعراضهم عنها كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾[الشورى: ٤٨] ؛ أثبتها الله تعالى له هنا بأنَّه ﷺ يهدي إلى نهج الهداية وطريقها الواضح، بل وعظَّم من أمر هذه الهداية كونها مسبوقة بأمر الروح الإلهي في أول هذه الآية محل الدراسة ثم تلاها ببدل كل من كل في قوله تعالى (صراط الله....) أي: هدايتك نابعة من روحنا، وترشد إلى طريقنا[٣] .

قلتُ: ولما كانت طرق الهداية متنوعة فمنها ما يحدث بمشقة ومنها ما يحدث ـ بمعيَّة الله تعالى وتوفيقه ـ بجهد أقل؛ جاءت القراءات الثلاث السابقة موضحة لذلك .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي :

١ ـ السر في قراءة السين:

---

(١) ينظر: الحجة للفارسي: ج١/ ٥٠ .

(٢) ينظر: الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، أبي عبد الله (ت/ ٣٧٠هـ): صـ ٦٣، ت: عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت/ ٧٥٦هـ): ج١/ ٦٤ـ٦٥، ت/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

(٣) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١٧/ ٣٧٢ـ٣٧٣.

أ ـ ألحظ في هذه القراءة الدلالة على الأصل؛ فإنَّ النَّبيَّ المعظَّمَ ﷺ يبذل مجهودًا مضاعفًا لإرشاد الناس إلى أصل الدين وتسهيل أصوله لهم من حيثُ الكم والكيف .

ب ـ كما ألمح فيها صبرَه ﷺ على المدعوين لتعليمهم هذه الأصول، وتغاضيه عن بعض مخالفاتهم لتأليف قلوبهم، ومن خلال همس السين تظهر رحمات النبي ﷺ ، وكذا رحمات الدين الحنيف في الدعوة إليه .

ج ـ كما يترآى لي نجم دريٌّ في هذه القراءة الكريمة برفع الحرج عنه ﷺ ، وطمأنته على مستقبل أمته ﷺ؛ فقد دعوتَهم يا رسول الله لأصل الدين، وهذا كافٍ لهدايتهم بعد ذلك، فلا تقلق على أمتك بعد موتك يا رسول الله؛ ففيما دعوتهم وهديتهم إليه النَّجاةُ .

٢ ـ السر في قراءة الصاد .

تظهر الإشارة الواضحة من هذه القراءة بدلالة النبي صلى الله عليه وسلم لما زاد عن الأصل؛ فهو وصحابته وأتباعه يسارعون في النوافل والسنن، ولم يكن النبي ﷺ مكتفيًا بإظهار الأصول فحسب؛ بل يستعلي مع أصحابه وأحبابه عليها؛ ليعتلوا منابر الأبرار والمقربين .

٣ ـ السر في قراءة الإشمام

ـ هذه القراءة الكريمة تشير إلى نوع من الصبر لم يتحلَّ به أحد إلا النبي ﷺ فهنالك من ضاع في مفترق الطرق بعد دخوله الإسلام، وكل ما عمي عليه الطريق والتبس؛ عاد ببركة هدايته ﷺ .

ـ كما تشير في جلاء إلى اختلاف طرق الهداية فمنها الترهيب ومنها الترغيب، ومنها التنظير ومنها التحفيز والتأليف، ومنها غير ذلك .

٤ ـ وبالجملة فإنَّ القراءات الثلاث تتعاضد على إفادة مختلف أحواله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، وأنَّ كلَّ هذه الطرق مستقيمة لا اعوجاج فيها على

اختلاف أحوال الداعي ﷺ والمدعو، وأنَّ ما أتى به ﷺ يرشد كل مريدي الرتب العالية من رضا رب العالمين ومن ثَمَّ الجنة إلى رتبهم . والله أعلم .

*****

المطلب الثالث: تسلية قلبه وأمره بالصبر.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النَّحل:١٢٧].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النَّمل: ٧٠] .

أولًا: وصف القراءة ونسبتها ـ في موضعيها:

١ ـ قرأ ابن كثير بكسر الضاد؛ هكذا: (ضِيق).

٢ ـ وقرأ الباقون بفتح الضاد؛ هكذا: (ضَيق) [(١)].

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرآنية موضع الخلاف.

تعود القراءتان السابقتان إلى الجذر اللغوي (ضَيَق)، والذي يدل على نقيض السَّعة، والفقر، والبخل، والغم، والعجز [(٢)].

وقد وجَّه أكثرُ العلماءُ القراءتين بأنَّهما لغتان في المصدر، والمعنى: لا تك في ضيق. أي: لا يضق صدرك من مكرهم[(٣)] .

وفرَّق بينهما ابنُ خالويه فذكر أنَّ الضِّيقَ بالكسر يكون في الموضع، والضَّيقَ ـ بالفتح ـ في المعيشة [(٤)]

ويظهر من خلال ذلك التفريق أنَّ الحزنَّ الذي أصاب صدره الشريف ﷺ أغمَّ صدره، وضيَّق عليه الأماكن الفسيحة، وما ذلك إلا خوفًا عليهم من هلاكهم

---

(١) ينظر: التيسير: صـ ١٣٩، وتحبير التيسير: صـ ٤٣٤، والنَّشر: ج٣/ ١٦٢٣.

(٢) ينظر: المفردات للراغب: ج٢/ ١٨، ولسان العرب: ج١٠/ ٢٠٨.

(٣) ينظر: الحجة للفارسي: ج٥/ ٨٠، ج٧/ ٣٠٣ .

(٤) ينظر: الحجة لابن خالويه: ٢١٣ .

لعدم إيمانهم .

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة.

أولًا: علاقة القراءتان بسياقهما من السورة في الموضع الأول .

لَّما بيَّن تعالى أمر الدعوة وأوضح طرقها وقدم أمر الهجرة والإكراه في الدين والفتن فيه أشار إلى ما سبَّب ذلك من المحن والبلاء من الكفار ظلماً، وختم ذلك بالأمر بالرفق بهم، والنهي عن مجازاتهم إلا على وجه العدل؛ فقال تعالى: (وإن عاقبتم) أي كانت لكم عاقبة عليهم تتمكنون فيها من أذاهم (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)، أي: مثلًا بمثل، وبعدما أباح لهم درجة العدل، رقَّاهم إلى رتبة الإحسان بقوله تعالى: (ولئن صبرتم) بالعفو عنهم (لهو) أي الصبر (خير للصابرين) وأظهر في موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً بالوصف.

ولما كان التقدير: فاصبروا، عطف عليه إفراداً له صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالأمر، إجلالاً له وتسلية فيما كان سبب نزول الآية من التمثيل بعمه حمزه ـ رضي الله عنه، وتنويهاً بعظم مقام الصبر زيادة في إرشاد الأمة إلى الاتباع ؛ لأن أمر الرئيس أدعى لامتثال أتباعه؛ فقال تعالى: (واصبر وما صبرك) أي أيها الرسول إلا بالله، وبعدما هدأت نفسه ﷺ، ورجعت إلى الأسف عليهم لإهلاكهم أنفسهم بتماديهم على العتو على الله تعالى، قال سبحانه: (ولا تحزن عليهم ولا تك) بحذف النون للإشارة إلى ضيق الحالة عن أدنى إطالة، (في ضيق) ولو قلَّ - كما أشار إليه تنوين التحقير عوضًا عن النون، واعلم أنَّ أذى الكفار الذي سيق للتسلية عنك يا رسول ﷺ لا يضرك في المراد الذي بعثت من أجله، وذلك بإظهار الدين، وقمع المفسدين، (مما يمكرون)، أي: من استمرار مكرهم بك [1].

ثانيًا: علاقة القراءتان بسياقهما من السورة في الموضع الثاني:

بعدما أمرهم تعالى في الآيات السابقة بضرورة السير في الأرض لأخذ العبرة من

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١١/ ٣٨١ ـ ٣٨٤ .

إهلاكه تعالى لمَن عصا وتجبَّر، ولترك العناد والرجوع إلى الجادَّة؛ أمر نبيَّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدما داهمه الحزن من عدم إيمانهم وجلافتهم وتجافيهم عن اتباع الحق ـ بعدم الحزن ورفع الحرج عنه، فالعيب في غشاوة أبصارهم، وقساوة قلوبهم واسودادها بشبح الكفر(١) .

قلتُ: بعدما تعاون هؤلاء الكفار على المكر به ﷺ، وعدم الاعتبار بالرجوع إلى الحق، وتماديهم في الغيِّ، وبعض الأسباب الخاصَّة كقتلهم عمَّه حمزة ـ في الموضع الأول؛ جاءت تسلية قلبه الشريف ﷺ من خلال إرشاده إلى أفضلية الصبر، والتجرُّد من الحزن لعدم إيمانهم، ومكرهم برسول الله ﷺ، ولما كان هنالك آثار سلبية لهذا الضيق بحيث إنَّه يغم الصدر؛ مما يجعل الأمكنة ضيقة بعد رحابتها؛ جاءت القراءة المتواترة لتؤكد على هذا .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي :

١ـ أسرار قراءة (ضِيق) ـ بكسر الضاد ـ في موضعيها .

أ ـ ألحظ في هذه القراءة الكريمة عظيمَ رحمته ﷺ بهم ـ رُغم كفرهم وجحودهم، وأنَّ الحزنَ القلبي يشغلُ الإنسان عمَّا هو أوجب وأفضل؛ ولذا ورد الأمر باجتنابه .

ب ـ يشير الكسر في الضاد إلى الوضع النفسي والتشريحي للحزين؛ فهو مطأطيء الرأس حقيقةً وحكمًا .

١ـ أسرار قراءة (ضَيق) ـ بفتح الضاد ـ في موضعيها .

أـ هذه القراءة قد تكون مرتبة على قراءة الكسر؛ فمَن ضاق صدره، أو أصابه همٌّ أو غمٌّ انشغل به حتى إنَّ الأمكنة الرحبة قد تضيق به، وفيها لفتُ نظره ﷺ بأنَّ الاهتمام بشئون المؤمنين أولى من عدم الحزن على غيرهم ممن لم يؤمنوا .

ب ـ كما تشير الفتحة إلى ما يعقب الحزن من تبعات وهموم لا تنفك بالإنسان حتى تصرَفه عن الغرض الأسمى، وهو في حقه ﷺ : الدعوة والتبليغ وإرشاد الخلق إلى الله

(١) ينظر: السابق: ١٤/ ٢٠٨ .

.وبالجملة فإنَّ القراءتين تتعاضدان في تسلية قلب النبي ﷺ والمساهمة الفعَّالة في تجنيبه الحزن الداخلي أو الخارجي . والله أعلم .

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

رابعًا: أسرار التنوع القرائي :

١ ـ السر في قراءة (بالغدوة):

أ ـ تشير هذه القراءة الكريمة إلى انتظارهم أعمال الطاعات النهارية قبل إتيان النهار؛ فهم يترقبون طاعتنا قبل موعدِها؛ فهؤلاء أجدر بالمجالسة، وأرواحهم أليق بالملامسة .

ب ـ كما ألحظ فيها ترتيبَ أنفسهم لهذا النشاط، كنومهم المبكر، وانشغالهم بهذا، وترتيب أولويات حياتهم من تقديم الطاعات على أعمالهم الدنيوية. والله أعلم .

٢ ـ السرُّ في قراءة (بالغداة):

أ ـ ألمح في هذه القراءة أنَّهم يتابعون نشاطهم أول النَّهار وآخره، ولا يكتفون بفترة البكور وحسب؛ بل إنَّك تراهم كالريح المرسلة في كلِّ ميادين الخير والطاعات .

ب ـ كما ألحظ فيها ارتفاع النَّسق التصاعدي في العبادة مناسبة للألف في الغداة، ففي الوقت الذي تحسبهم قد همدوا وتعبوا؛ يأتونك بأفضل الأعمال وأقواها .

٣ ـ وبالجملة فقد أتت هاتان القراءتان تلامسان قلبه الشريف ﷺ بأنَّ هؤلاء الرجال الذين اختارهم الله لك أصحابًا ورفقاء يا رسول الله ﷺ فيهم من الغنى والرفعة والمنزلة الكريمة ما يغنيك عن هؤلاء مجالسة هؤلاء المترفين المتشدقين بغناهم، البعيدين عن نفع أنفسهم .

ـ كما تبرزان الدور العظيم لرسول الله ﷺ في تربية أصحابه، وفيهما رسالة من رب العالمين مفادها: قد ربيتَ جيلًا عظيما حاز رضا رب السماء؛ ففيهما التزكية والتعظيم للمعلم وطلابه.

*****

المطلب الرَّابعُ: تزكية طاعته ﷺ وإرشاده إلى الأفضل له ولأمته .

قال تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ...﴾ [من الآية ـ ٢٠: سورة المزمِّل] .

أولًا: وصف القراءة ونسبتها:

في هذه الآية الكريمة ثلاثة مواضع قرائية[(١)]، وهي على النَّحو التالي:

الموضع الأول: لفظ (ثلثي) ، والقراء فيه كما يلي:

١ ـ قرأ هشام بإسكان اللام هكذا: (ثُلْثي) .

٢ ـ وقرأ الباقون بضم اللام هكذا: (ثُلُثي).

الموضع الثاني: لفظا (نصفه وثلثه) ، والقراء فيهما كما يلي:

١ ـ قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر بنصب الفاء وضم الهاء من (نصفَهُ)، ونصب الثاء وضم الهاء من (وثلثَهُ).

٢ـ وقرأ باقي القراء العشرة بخفض الفاء والثاء، وكسر الهاء فيهما هكذا: (ونصفِهِ وثلثِهِ).

الموضع الثَّالث: لفظ (القرءان)، والقراء فيه كما يلي:

١ ـ قرأ ابن كثير بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وحذف الهمزة هكذا (القران).

٢ ـ وقرأ الباقون بإثبات همزة مفتوحة بعد الراء الساكنة هكذا: (القرْءان) .

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرآنية موضع الخلاف.

تعود هذه القراءات القرآن إلى ثلاثة جذور لغويَّة، هي: (ثلث، نصف، قرأ)، ودلالتهم كما يلي:

---

(١) ينظر: التيسير: صـ٢٩٢،٥٤١، وتحبير التيسير : صـ ٣٠١، ٥٩٦، والنَّشر: ج١/ ٨٥١،ج٣/ ١٤٣٧، ١٨٣٧

١ ـ ثلث: ويدور معناه في اللغة حول أحد الأجزاء الثلاثة، والجمع أثلاث، والثلاثة: العدد المعروف[١].

٢ ـ نصف: وهو في اللغة: شطر الشيء، وإناء نصفان: بلغ ما فيه نصفه، ونصف النهار وانتصف: بلغ نصفه[٢] .

٣ ـ قرأ : والذي يدور معناه في اللغة حول: التكلم بالفم، والفهم، والجمع، والضم(٣).

هذا، وقد وجَّه العلماء القراءات السابقة فذكروا أنَّ إسكانَ اللام وتحريكَها في (ثلثي) لغتان، وغرض الإسكان: التخفف من ثِقَل توالي ضمتين.

ـ كما ذكروا في توجيه قراءتي النصب، والخفض في (نصفه وثلثه): أنَّ نصبَهما: على البدلية من قوله تعالى: (أَنَّكَ تَقُومُ)، أو على إضمار فعل مثله، والمعنى: أنك تقومُ أقلَّ من الثلثين، وتقومُ النصفَ والثلثَ، وهذا متطابِقٌ لِما مَرَّ في أولِ السورةِ من التخيير بين أن يقوم النصف بكماله، وبين قيام الناقصِ منه، وهو الثلثُ، وبين قيامِ الزائدِ عليه، وهو الأَدْنَى من الثلثَيْن.

ووجه من خفضهما: أنه ردّه على قوله تعالى: (مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ)، والمعنى: أَنَّك تقومُ أقلَّ من الثلثَيْن، وأقلَّ من النصفِ والثلثِ ، وهو مطابقٌ للتخييرِ بين النَّصْفِ وهو أَدْنى من الثلثين والثلثِ وهو أَدْنى من النصفِ، والرُّبُع وهو أَدْنى من الثلثين، وأدنى من الثلث [٤] .

---

(١) ينظر: المفردات للراغب: ج١/ ١٥٦.

(٢) ينظر: السَّابق: ج٢/ ٤٣٤ .

(٣) ينظر: السَّابق: ج٢/ ٢٣٧ .

(٤) ينظر: الحجة لابن خالويه: ٣٥٥ ، وحجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد، أبي زرعة ابن زنجلة (ت: حوالي ٤٠٣هـ): صـ ٧٣١ـ ٧٣٢، ت: سعيد الأفغاني، ط/... والدر المصون للسمين الحلبي: ج١٠/ ٥٣٠ .

ـ ومَن وقف من العلماء على توجيه قراءتي (القرءان، القران) بالتحقيق، والنقل، ذكر أنَّ قراءة النَّقل على أنَّه اسم وليس مهموزا، ولم يؤخذ من قرأت ، فهو مثل لفظ (التوراة)، ومن همزه فهو مصدر لـ(قرأت الشيء) أي: جمعته وألفته، فسمِّي بالمصدر، وحجتهم في معنى الجمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[القيامة:١٧] ، وفي معنى التأليف قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة:١٨] (١).

قلتُ: ولَّما كان هنالك حرصٌ من النبي ﷺ على رضا ربِّ العالمين بالاجتهاد في قيامِ الليل؛ جاءت القراءات تُزكي هذا الجهد والإخلاص فيه، وتعطي مضمونًا واسعًا لكل مريد القدوة الحسنة، أي: هذا نبيكم يسارع في مرضاتنا رُغم مغفرة جميع ذنبه وما تأخر منها، فهل أنتم مقتدون؟!!.

ثالثًا: علاقة القراءتين بسياقهما من السورة:

جاءت الآية الكريمة محل الدارسة تصف اجتهادهﷺ بعدما سيق في أول السورة وما بعدها من مضاعفة جهده ﷺ في القيام والعبادة، كما أتت لتخفف عمَّن ظنَّ أنَّ العبادة بالمشقة، فالمراد من العبادة اتصال الروح بربها جلَّ وعلا، وإن قلَّ الكمُّ؛ وقد جاءت القراءات السابقة تزكي عبادتَه ﷺ ومَن معه، وتبين الأفضل للنبي ﷺ ولأمته جميعها(٢) .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي :

أولًا: أسرار قراءتي: (ثلثي) بالإسكان والضم .

١ـ سر قراءة الإسكان:

أ ـ ألحظ في هذه القراءة تسليط الضوء على الثلثين من الليالي الصيفية؛ فهما أخف من حيث الوقت من طول ثلثي الليالي الشتوية .

(١) ينظر: الحجة لابن زنجلة: صـ ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج٢١/ ٢٨ ـ ٣٢ .

ب ـ كما ألمح في سكون اللام ما في ليل المقيمين عبادة وصلاة من سكون الراحة، وهدوء القلب بطاعة الرحمن جل وعلا، ومن ذاق عرف .

١ـ سر قراءة الضم:

أ ـ ألمح فيها ما يكون من طول الليالي الشتوية، فالنبي ﷺ لم يمنعه طول الليل من الوصول لثلثيه صلاة وتعبدا، وفيها من التزكية والارتقاء به ﷺ ما فيها .

ب ـ كما أنَّ في ثقل الضمة ما يشير إلى رحمة الله بنبيِّه ﷺ في التخفف بعدها؛ فهي بمثابة رسالة: نعلم أنَّك تجاهد في سبيل إرضائنا فهوِّن على نفسك ، ويكفيك ما هو أقلُّ .

ثانيًا: أسرار قراءتي النصب والخفض في : (نصفه وثلثه)

أولًا: أسرار قراءة النصب:

أـ ألحظ في هذه القراءة الكريمة حرصَ النبي ﷺ على إتمام المقدار الذي يقيمه من الليل؛ فهو يقسم الليل أجزاء متساوية، ولا يُنقِص عن القدر الذي يحدده بدءًا، وهي دعوة لأمتهﷺ لتنظيم وقتها طاعةً وعملًا .

ب ـ كما أنَّها تشير إلى تتابع الليالي في هذا المقدار، فهما عددان يشيران إلى تكرار الأمر حتى عُدَّت الليالي بحساب الرياضيات، ولم تُعد بالعمل اليومي المتقطع .

أولًا: أسرار قراءة الخفض:

أ ـ هذه القراءة إلى التزام النبي ﷺ بعدم إنقاص قدره من قيام الليل على الربع، وهي إشارة لمجاهدة النفس للوصول إلى المراد، ولذة الطاعة بالمواصلة والمجاهدة .

ب ـ كما أنَّها تومىء إلى زيادة الخيارات فيمن أراد موازاة صلاة النبي ﷺ ، فلم يستطيع منكم قيام النصف؛ فيكفه قيام الثلث، ومن لم يستطع فيكفه الربع، وتلكم صفة صلاة قيامه ﷺ .

ثالثاً: أسرار قراءتي التحقيق والنقل في: (القرآن):

١ ـ أسرار قراءة التحقيق (القرءان):

أـ ألحظ في وجود الهمزة ما يشير إلى ثِقَل المقروء وإن قلَّ، ففي معنى الآية الصغيرة ما لو فهمه جبلٌ لخرَّ متصدِّعًا .

ب ـ كما أنَّ فيها ضرورةَ التفقه فيما يُقرأ؛ فالعبرة ليست بالكمِّ، وإنَّما بالكيف، وهو ما يشير إليه الأصل، وهو (قرأ) المهموز من معنى التأليف الجمع .

السر في قراءة النَّقل:

أ ـ ألحظ في هذه القراءة خفَّةَ القراءة، ويكأنَّها تشير إلى قِصار السور في مرحلة ختام العبادة؛ فليس عيبًا أن تختموا بها لتتماشى مع تعب البدن بعد العبادة .

ب ـ كما ألمح فيها تحقيقَ قدر القرآن في أي قدر تقرأونه ؛ فهي أشبه برسالة طمأنة وبشارة بأنَّ قليلكم من القرآن قرآن كامل.

المبحث الثاني: ختم الأنبياء به، وإبقاؤه أسوة طيبة، ورفع الحرج عنه من عدم إيمان قومه، ومنعه من الحزن عليهم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ختم الأنبياء به ﷺ .

المطلب الثاني: إبقاؤه ﷺ أسوة طيبة .

المطلب الثالث: رفع الحرج عنه ﷺ من عدم إيمان قومه، ومنعه من الحزن عليهم.

ولتفصيلها أستعين بالله تعالى وأقول:

المطلب الأول: ختم الأنبياء به

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٠].

أولًا: وصف القراءة ونسبتها:

في هذه الآية الكريمة خلافان قرائيان في كلمتي (وخاتم)، (النبيين) (١).

أولًا: الخلاف القرائي في قوله تعالى: (وخاتم):

١ ـ قرأ عاصم بفتح التاء هكذا: (وخاتَم) .

٢ ـ وقرأ الباقون بكسرها هكذا: (وخاتِم) .

ثانيًا: الخلاف القرائي في قوله تعالى: (النبيين):

١ ـ قرأ نافع بهمز بين الياءين هكذا: (النَّبيئين) .

٢ ـ وقرأ الباقون بترك هذه الهمزة، وبياءين متصلتين هكذا: (النَّبيين).

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرآنية موضع الخلاف.

تعود القراءات السابقة إلى الجذرين: (ختم)، (نبا)، ودلالتهما كما يلي:

١ ـ (ختم): يدل على ما يُختم به، أو الأثر النَّاشيء عن هذا الختم، قال تعالى: (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)، أي: تمَّمها بمجيئه ﷺ (٢).

٢ ـ (نبأ): وبالهمز من الخبر؛ لأنَّ النَّبيَّ يخبر عن ربه جلَّ وعلا، ومن غير همز من

---

(١) ينظر: التيسير: صـ ٤٧٨، ٢٨٠ ، وتحبير التيسير: صـ ٥١٣، ٢٨٨ .

(٢) ينظر: المفردات للراغب: ج١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

النباوة وهي الرفعة[١] .

هذا، وقد وجَّه العلماء قراءتي فتح الخاء وكسرها من (وخاتم) فذكروا أنَّ معنى قراءة الكسر: أنَّه ختمها بنفسه ﷺ ، ومعنى قراءة الفتح: أنَّه ﷺ آخر نبي، فلا نبيَّ بعده ﷺ[٢].

كما وجَّه العلماء قراتي همز (النبيين) وعدم همزها بالوجه المذكور آنفا في (ثانيًا) [٣] .

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة:

لما جاءت السورة الكريمة بتحريم بنوة الدعي من النسب؛ جاءت هذه الآية محل الدراسة لتبين مكانته الحقيقية العظيمة ﷺ وأنَّه رسول الله وخاتمهم، وليس أبًا حقيقةً أو حكمًا لرجل منكم؛ ولذا لم يعش أحد من أولاده ﷺ [٤].

قلتُ: وقد جاءت القراءات السابقة تخبر بتلكم المنزلة وهذا الشرف؛ فلا يخفى ما في قراءتي (وخاتم) بالفتح والكسرمن بيان قدره ومقداره ﷺ ؛ فلشرفه ورفعته كأنَّه خاتِم يزين النبيين ويختمهم اعتمادًا، وأنَّه تامٌّ وتمَّم عقد النبوة؛ فلا يفضله إنسان؛ حتى يأتي بعده .

وكذا قراءة (النبيئين): فهم مخبرون عن الله تعالى، وهم بقراءة: (النبيين): رفيعوا الشأن لصلتهم بالله جلَّ وعلا .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

أولًا: أسرار قراءتي (وخاتم) بالفتح والكسر:

١ ـ أسرار قراء الفتح (وخاتَم):

---

(١) ينظر: المفردات للراغب: ج٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥ .

(٢) ينظر: معاني القراءات للأزهري، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ): ج٢/ ٢٨٤، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م ، وحجة القراءات لابن زنجلة: ٥٨٧.

(٣) ينظر: الصفحة السابقة من هذا البحث.

(٤) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١٥/ ٣٦٣.

أ ـ ألحظ في هذه القراءة تتمَّة البنيان وزينته؛ فقد كان ينقص عقد النبوة هذه اللؤلؤة الفريدة التي تجعل النَّاظرين يرون كمالَ العقد وانسجامه، بل وترقيه؛ يدل له ما رواه مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ "[1] .

ب ـ كما أنَّها تشير في جلاء بأنَّه ليس بعد خاتَم الله من خاتَم؛ فقد ختم الله به كشف الأنبياء، وليس في التأخير زمنًا تأخيرٌ رتبي، بل سُلِّط الضوء عليه رُغم ختمه بهم؛ ليُعلم أنَّه خاتم تمام وكمال، وليس خاتمًا مكررًا .

١ ـ أسرار قراء الفتح (وخاتِم):

١ ـ ألحظ فيها بيانَ كمال الشريعة وتمام المنهج، وهي رسالة واضحة لكل إنسان سمع به ﷺ وبشريعته الغرَّاء أن يتبع التامَّ؛ فليس بعد التمام شيء .

ب ـ كما ألمح فيها نزولَ حدِّ التيسير إلى أدناه؛ فجملة ما ورد من خير في كل الشرائع السابقة وافيناكم به، وكل تيسير جئناكم به .

ثانيًا: أسرار قراءتي (النبيئين)، (النبيين) .

١ ـ ألحظ في قراءة (النبيئين) بالهمز تزكيةَ النبيئين وتشريفهم؛ فالنبيئون جميعًا صادقون في إخبارهم عن الله، وشرف كل نبيء منهم يأتي من شرف المبلَّغ عنه جلَّ وعلا، وهؤلاء يبلغون عن الله، ولا يضاهي ذلك شرف ولا وجاهة .

ب ـ كما ألحظ فيها تكليفًا وتشريفًا النبي ﷺ بكونه خاتم المخبرين عنه تعالى، وفي ذلك رسالة صريحة بأنَّه يحمل ما جاءوا به جمعًا، وأنَّه ﷺ الأكثر تبليغًا كمًّا وكيفًا، وفيه من التكليف وشحذ الهمَّة ما فيه .

(١) صحيح مسلم: ج٤/ ١٧٩١، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتَم، ح رقم: ٢٢٨٦.

٢ ـ كما ألحظ في قراءة (النبيين) بترك الهمز ما ينال هؤلاء النبيين من رفعة وشرف في الدنيا والآخرة؛ فهم مصطفون في الدنيا، وفي أعالي الجنان في الآخرة ، وخاتِمهم هو العدنان ﷺ.

٢ ـ كما ألمح فيها من طرف خفي تأكيدَ رحلةِ معراجه ﷺ، فوصول كل نبي له حدٌّ، أما أنت أيها الخاتم فلا حدَّ لوصولك . والله أعلم .

المطلب الثاني: إبقاؤه ﷺ، أسوة طيبة .

من تعظيم الله تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلَّم إبقاؤه أسوة حسنة ومرجعًا كاملًا في العبادة والأخلاق أبد الدهر، لا يتغير بتغير العصور ولا بتقدمها، فهو النجاة لكل مريدي القدوة والنَّجاة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١] .

أولًا: وصف القراءة ونسبتها:

١ ـ قرأ عاصم بضم الهمزة هكذا: (أُسوة) .

٢ ـ وقرأ الباقون بكسرها هكذا: (إِسوة) [(١)].

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرآنية موضع الخلاف.

تعود القراءتان السابقتان إلى الجذر اللغوي (أسا)، والذي لخَّص دلالته على القراءتين الراغبُ فذكر أنَّهما كالقُدوة والقِدوة، وهي الحالة التي يكون عليها الإنسان في اتباع غيره إن كان حسنًا أو قبيحًا؛ ولذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب/ ٢١] [(٢)] .

وقد وجَّه كثير من العلماء هاتين القراءتين بأنَّهما لغتان؛ كلغتي الضم والكسر في كلمة

(١) ينظر: التيسير: صـ ٤٧٧، وتحبير التيسير: صـ ٥١٢، والنَّشر: ج٣/ ١٧١٩ .

(٢) ينظر: المفردات للراغب: ج١/ ٣١.

(رشوة) وغيرها[١].

ومنهم مَن فرَّق بينهما فجعل قراءة الضم بمعنى القدوة العظيمة، وقراءة الكسر بمعنى أدنى المراتب، أي: قليلُه ﷺ يكفيكم قدوةً ونجاةً[٢].

ثالثًا: علاقة القراءتين بسياقهما من السُّورة:

بعدما أخبر تعالى عن صفات المنافقين في الآيات السابقة، وهي صفات في غاية الدناءة والبذاءة؛ أقبل عليهم بهذه الآية وهذه الوصية الكريمة يدلهم على تناهي الغضب، فقال تعالى: (أسوة)، أي: قدوة لكم في كل أحواله ﷺ[٣].

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

١ ـ أسرار قراءة الضم (أسوة):

أ ـ ألحظ من طرف النظر أنَّ الضم يناسبه الثِّقل وهو أمر الطاعة؛ فمَن أراد التأسي في الطاعة والعبادة وأراد الآخرة فيكفيه قدوةً النبيُّ ﷺ.

ب ـ كما تشير إلى تعظيمه ﷺ حتى بعد موته؛ لأنَّه من المعلوم أنَّ الإنسان إذا مات تنوسي ما كان عليه، لكنَّ شرف الضمة ورفعتها أبانت عن بقائه ﷺ أبد الدهر قدوة لكل المريدين.

٢ ـ السر في قراءة الكسر : (إسوة):

أ ـ أرى أنَّ الكسر يناسبه ما يتسق وطرق التعامل الدنيوية؛ فالمعاملة من الدين أيضًا، لكنَّ طريق الكسر من خلال الطرق المتنوعة في معاملة الناس، والتي غالبا ما تحمل أحزان من أفعال البشر تجعلك ترجع لمرجع تستقي منه طريق النجاة؛ وذلكم القدوة هو النبي ﷺ.

ب ـ كما يشير الكسر إلى الابتلاءات التي تحصل للعبد في نفسه وأحبابه؛ ففي هذه

---

(١) ينظر: الحجَّة لابن خالويه: صـ ٢٨٩، ومعاني القراءات للأزهري : ج٢/ ٢٨٠، وحجة القراءات لابن زنجلة: صـ ٥٧٥، والدر المصون للسمين الحلبي: ج٩/ ١٠٨.

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١٥/ ٣٢٣ .

(٣) ينظر: السابق: ج١٥/ ٣٢٣ .

الحالة يحتاج الإنسان لمصبِّرٍ وأنيسٍ يمشي معه؛ وكفى برسول الله ﷺ من أنيس وجليسٍ .

٣ ـ وبالجملة فالقراءتان تعالجان بيان القدوة الصالحة لكل زمان ومكان، على اختلاف أحوال المقتدي صعودًا ونزولًا، دنيا وآخرة . والله أعلم .

*****

المطلب الثالث: رفع الحرج عنه ﷺ من عدم إيمان قومه، ومنعه ﷺ من الحزن عليهم

كان النبيﷺ يجتهد في تبليغ الدعوة لجميع المرسل إليهم؛ حتى يظفر بالناجين من النار، ورُغم كل جهده ﷺ كان هنالك كفار ينكرون دعوته، بل ويسيئون إليها وإليهﷺ ؛ فيصيبه الحزن جرَّاء عدم إيمانهم، فأنزل الله عز وجلَّ قرآنا يُتلى برفع الحرج عنه ﷺ، وأنَّه ما قصَّر في دوره المرسل به إليهم، وقد تنوعت القراءات في إفادة ذلك على ما يلي:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [لقمان: ٢٣] .

أولًا: وصف القراءة ونسبتها:

١ ـ قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي هكذا: (يُحزِنك).

٢ ـ وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي هكذا: (يَحزُنك) [١].

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرآنية محل الخلاف:

تعود القراءتان المتواترتان إلى الجذر اللغوي (حَزِنَ) ، ويطلق الحزن ويراد به: الغلظ من الأَرْض مثل الحزم ، والخشونة في النفس من آثار الغم، وأحزن الرجل إِذا ركب الْحزن، (الْحُزْنُ) وَ (الْحَزَنُ) ضِدُّ السُّرُورِوالحزن: مَعْرُوف يُقَال: حزن يحزن حُزْنا وحَزَنًا، وَحَزَنَهُ لُغَةُ قُرَيْشٍ وَ (أَحْزَنَهُ) لُغَةُ تَمِيمٍ وَقُرِئَ بِهِمَا، وهما لغتان

(١) ينظر: التيسير: صـ ٣١٩، وتحبير التيسير: صـ ٣٣٠، والنَّشر: ج٣/ ١٤٩٣ .

فصيحتان، أجازهما أَبُو زيد وَغَيرُه[1] .

وقد وجَّه العلماء قراءتي نافع ، والباقين من القراء، وذكروا أنَّهما لغتان، فقراءة الجمهور (يَحزُنك) من (حَزِنَ)، وقراءة نافع من (أحزن) [2].

قلتُ: ومعنى قراءة الجمهور (ولا يَحزُنك): تدل على النهي عن استمرار الحزن في قلبهﷺ.

٢ ـ أما قراءة نافع (ولا يُحْزِنك): لا يصل حزنك إلى غيرِك لمجرد أنَّ قومًا عميت بصائرهم؛ فلم يؤمنوا .

ثالثًا: علاقة القراءتين بسياقهما من السورة:

بعدما فرَّق الله عزَّ وجلَّ بين مرتبة المؤمنين المهديين، والكافرين العصاة الضالين؛ أخذ يسلي قلبه ﷺ برفع الحرج عنه فقال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ...﴾، أي: يوجعك أو يَهمُّك؛ غدا ينتهي الأمر برجوعهم إلينا، ونحاسبهم على ما فعلوا، وفي الآية احتباك[3] فقد حذف في الآية التي سبقتها، وهي قوله تعالى:

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ): ج١/ ٥٢٩، ت/ رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، ومختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ): ٧٢، ت/ يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م، والمفردات للراغب:ج١/ صـ ٢٢٩، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها): ج: ١/ ٤٢٢،لمحمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب ، القاهرة، الطبعة: الأولى،٢٠١٠ م.

(٢) الحجة للفارسي: ج٣/ ٩٩ ، والحجة لابن خالويه: صـ ١١٦ .

(٣) الاحتباك: أَن يحذف من الأول مَا أثبت نَظِيره فِي الثَّانِي، وَمن الثَّانِي مَا أثبت نَظِيره فِي الأول، وهو من ألطف أَنْوَاع البديع وأبدعها؛ وَقد يُسمى حذف المُقَابل. ينظر: البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني:ج٣/ ٥٤، دار القلم، دمشق، سوريا، وبيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢] الكافر، وذكره هنا، وذكر هناك الاستسلام وحذفه هنا (١).

قلتُ: ولَّما كان النبي ﷺ محطَّ أنظار العالم لهدايته وإنارته كان من الواجب المحافظة على قلبه، وعدم إشغال صدره وعقله بما يُعطِّل مسيرة دعوته الوضاءة؛ ومن أجل ذلك جاءت القراءتان تؤكدان على النهي عن الحزن الباطني والظاهري .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

١ ـ أسرا قراءة نافع: (يُحزنك):

أ ـ ألحظ في هذه القراءة رقَّة قلبه ﷺ فالحزن هنا أشبه بهجوم شرس على قلبه ﷺ من باب الرحمة بهم والشفقة عليهم؛ فيرق تحت هذه الضغوط، ويحزن ؛ فيكون مضطرًّا بكفرهم للحزن.

ب ـ كما ألمح فيها تهيئة قلبه ﷺ للأولى والأهم، وهو النظر إلى المستقبل، وتوسعة الرقعة الإسلامية، والانشغال بتطوير وتمكين دولة الحق، وعدم الاهتمام بما مضى من أمر هؤلاء المعاندين، ولا تظهر حزنك عليهم للناس .

٢ ـ أسرار قراءة الباقين: (ولا يَحزُنك):

أ ـ ألحظ في هذه القراءة الكريمة النهيَ عن استمرار الحزن، أي: نعلم رقَّة قلبك ـ فنحن أقرب إليه منك ـ ومن حقِّك أن تحزن على عدم نجاتهم بالإيمان، لكن هذا لا يجعلك راكنًا إلى هذا الحزن، فهؤلاء قد حُدِّد لهم الطريق فأبوا إلا مخالفته؛ فلا تأبه بهم، ولا تستمر في هذا الحزن؛ حتى لا يستقر الحزن بقلبك الشريف يا رسول الله .

ب ـ كما ألمح فيها أنَّ الإنسان متى ركن إلى حزنه أضاع ما هو أولى منه؛ فهذه القراءة بمنزلة توجيه للأمة كلها: لا تحزنوا على مَن خالفوكم ودعوهم لربهم، وانشغلوا

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١٥/ ١٩٠.

بما يصلحكم فكما يعودون هم إلينا، ستعودون أنتم إلينا؛ فاتقوا هذا الرجوع .

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨] .

أولًا: وصف القراءة ونسبتها:

قرأ أبو جعفر بضم التاء وكسر الهاء ، وفتح السين هكذا: (تُذْهِب نفسَك) .

وقرأ الباقون بفتح التاء والهاء، وضم السين هكذا: (تَذْهب نفسُك) [١].

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرآنية .

ترجع القراءتان السابقتان إلى الجذر اللغوي: (ذَهَبَ)، والذَّهابُ: السّير، والمضيُّ، ويستعمل في الأعيان والمعاني، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ [هود: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] [٢].

وقد وجَّه العلماء القراءتين السابقتين فذكروا أنَّ قراءة كل القراء عدا أبا جعفر على أنَّ (نفسُك) هي الفاعل، والمعنى: لا تتعاط أسباب الحزن، ولا تجعلها مسلكًا لهلاك نفسك، وأنّ قراءة أبي جعفر بإضمار الفاعل، وعود الضمير عليه ﷺ، و(نفسَك) مفعول به، والمعنى: فلا تضيع نفسك بالحزن والضيق وتهلكها حزنًا عليهم [٣] .

---

(١) ينظر: التيسير: صـ ٣١٩، وتحبير التيسير: صـ ٣٣٠، والنَّشر: ج٣/ ١٧٢٨ .

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت:٤٥٨): ج٤/ ٢٩٥، ت/ عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت،ط/ الأولى، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م، والمفردات للراغب:٣٣٢، والمعجم الاشتقاقي: ٢/ ٧٢٩.

(٣) ينظر: الدر المصون للسمين:ج٩/ ٢١٤، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ): صـ ٦٦٢ ـ ٤٦٣، ت/ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية = لبنان، ط/ الثالثة، ٢٠٠٦م = ١٤٢٧هـ .

قلتُ: ولا يخفى ما في ترتيب قراءة أبي جعفر على قراءة باقي القراء؛ فإنَّه من تعاط أسبابَ الحزن وبرَّر لذلك؛ كان كمن يقدم نفسَه هديَّة للإهلاك والتدمير .

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة:

لما فصل الله تعالى بين مقام المؤمنين الناجين، والكافرين الهالكين؛ دحض هنا فكر الكافرين بأنَّهم ناجون، وأنَّهم لن يصيبهم مكروه في الآخرة؛ وسلَّى قلب النبيﷺ، ومنعه من الحزن عليهم، وذكَّره بأنَّ من غيَّر فعل القبيح فاعتقده حسناً؛ لأنَّ الله أضله ليس كمن بصره الله بالحقائق، والحقيقة: ليس هما سواء، ونتيجةً لذلك؛ فلا (تُذْهِب نفسَك) بالموت أو ما سبل الحزن (عليهم) بسبب ما هم فيه من العمى والضلال (حسرات) وهي جمع حسرة، وهي: شدة الحزن على ما فات من الأمر، وقد جُمِعت؛ حتى لا تتواتر فتُهلك[1].

قلتُ: ولَّما كان هنالك تسلية لقلب الحبيبﷺ؛ جاءت القراءتان الكريمتان تشيران إلى منع النفس من الحزن الداخلي حتى لا تتراكم الهموم فتصل بالنفس إلى الهلاك

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

١ ـ أسرار قراءة جميع القراء العشرة عدا أبا جعفر(فلا تَذْهَب نفسُك):

أ ـ ألحظ في هذه القراءة عظيم الأسى والحزن الذي كان يحيط بالرسولﷺ من عدم إيمان قومه؛ خوفًا عليهم من غضب الجبَّار ـ جلَّ وعلا ، وما ذلك إلا لرحمةٍ عظيمةٍ نابعة من قلبه الشريف ﷺ رُغم كل ما قالوه عنهﷺ، ورُغم كل ما فعلوه به ﷺ . حقا إنَّه النبي الأكرم . ب ـ كما ألمح فيها انشغالَه الشديد بهدايتهم، فالرسول ﷺ كان يلوم نفسَه لعدم إيمانهم، ويقسو عليها مرجعًا سبب ذلك لنفسه؛ فقال له ربنا جلَّ وعلا: لا تقتل نفسه، الهداية والضلال منَّا يا رسول الله ، وما أحسنَ قولَ ابنِ عطيةَ حين قال:"وهذه الآية تسلية للنبي ﷺ عن كفر قومه، ووجب التسليم لله تعالى في إضلال من شاء وهداية من شاء، وأمر نبيه ﷺ

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١٦/ ١٤ـ١٥.

بالإعراض عن أمرهم وأن لا يبخع نفسه أسفا عليهم"[1].

ج ـ كما ألمح فيها أنَّ نفس النبي ﷺ كانت تلومه على عدم إيمانهم؛ فالأمر مستقر في النفس، فمتى انشغل النبي ﷺ بأمر غيره ذكَّرته نفسه ﷺ، وما ذلك إلا لرحمة نفسه ﷺ، وحبها الجميع.

٢ ـ أسرار قراءة أبي جعفر (فلا تُذِهب نفسَك):

أ ـ ألحظ في هذه القراءة التضحيةَ العظمى لرسول الله ﷺ بالتضحية بنفسه لقاء أن يؤمن هؤلاء، وتصيبَهم النجاة، وكأنَّه ﷺ يقول: يؤمنوا، ونفسي الفداء. حقا إنَّه رحيم.

ب ـ كما ألمح فيها من طرفٍ خفيٍ رفق الملأ الأعلى برسول الله ﷺ، وتنبيهه إلى نهاية هذا الطريق بخسارة نفسه ﷺ عن طريق المرض الجسدي، وتسويغ الحزن المؤقت، أي: احزن لكن ليس لدرجة التواتر وتتابع الحسرات والضغط حتى لا تفقد نفسك.

ج ـ كما أنها تشير إلى الوضع القائم لسير أيام الدنيا، فالدنيا تسير للمستقبل؛ فلا يصرفك عنه حزن الماضي بما مضى فيه من أناس كفروا، أو أحداث منغصة، تأمَّل المستقبل يا رسول الله ففيه دولتك وأنت قائدها الأعظم ﷺ.

---

(١) المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ): ج٤/ ٤٣٠، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى = ١٤٢٢ هـ.

المبحث الثالث: إبراز مكانة نسائه، وأصحابه ﷺ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إبراز مكانة نسائه ﷺ.

المطلب الثَّاني: إظهار مكانة أصحابه ﷺ.

ولتفصيل ذلك أقول: من تعظيم الله تعالى لرسوله ﷺ تكريمُه جلَّ وعلا لنسائه وأصحابه رضي الله عن الجميع، وأبدأ من ذلك بما ذكره الله تكريمًا لنسائه ﷺ وتنوعت فيه القراءات .

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[الأحزاب:٣١] .

أولًا: وصف القراءات ونسبتُها:

قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر: (ويعمل صالحًا يؤتها) بالياء في الموضعين .

وقرأ الباقون: (وتعمل صالحًا نؤتها) بالتاء في (وتعمل)، والنون في (نؤتها) [(١)] .

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للتنوع القرائي:

تعود القراءات السابقة إلى الجذرين اللغويين (عمل)، (أتى)، ودلالتهما كما يلي:

١ ـ (عَمِلَ) ومنه:العَمَل: المِهْنة والفِعْل، وَالجَمْعُ أَعْمَال، عَمِلَ عَمَلًا، وأَعْمَلَه غَيرهُ واسْتَعْمَلَه، واعْتَمَلَ الرجلُ: عَمِلَ بِنَفْسِهِ، وعِمِّيلٌ: قويّ على العمل، والعَمولُ: القويُّ على العمل، الصابر عليه، وجمعه: عُمُلٌ، والعمالة: أجر ما عمل لك، والمعاملة: مصدر عاملْته مُعامَلةً. والعَمَلَةُ: الذين يعملون بأيديهم ضروبًا من العَمَل حَفْرًا وطينًا ونحوه[(٢)] .

٢ ـ (أتى)، والذي يطلق ويراد به: المجيء بسهولة، ومنه الإِيتاء:

---

(١) ينظر: التيسير: صـ٤٧٨، وتحبير التيسير: صـ٥١٢، والنَّشر: ج٣/ ١٧٢٠ .

(٢) ينظر: العين:ج٢/ ١٥٣ـ١٥٤، والمفردات للراغب:صـ٥٨٧، ولسان العرب:ج١١/ ٤٧٣ـ٤٧٤.

الإعطاء، والسقيا[1].

وقد وجَّه العلماء القراءات السابقة فذكروا أنَّ قراءة حمزة ومَن معه بالياء في (ويعمل) مناسبةً للفظ (مَن) في أول الآية، و(مَن) اسم يصلح للمذكر والمؤنث، والمفرد والجمع.

كما قرأوا بالياء في (يؤتها) وذلك على أنَّه إخبار من الرسولﷺ عن الله جلَّ وعلا .

وأمَّا قراءة باقي القراء العشرة بالتاء في (وتعمل) على معنى (مَن)؛ لأنَّ معناه هنا مؤنَّث، ووجه قراءة النون في (نؤتها): أنَّه إخبار الله تعالى عن نفسه، فهي نون العظمة، وفيها التفات[2] من الغيبة إلى التكلم [3].

قلتُ: ولا يخفى ما في القراءات من تزكية عمل نسائه ﷺ والأجر الموعود به نساؤهﷺ .

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة:

بعدما درأ الله المفسدة عن نسائه ﷺ أتبعها بمنافع وفوائد جمَّة وتعظيمًا في حق نسائه ﷺ؛ فقال تعالى (وَمَنْ يَقْنُتْ...) الآية الكريمة، أي: مَن تُخلص الطَّاعة لله تعالى ورسولِه الكريم ﷺ، وتتبع ذلك بالعمل الصالح وتداوم عليه؛ فإنَّ لها أجرين عن غيرها من بقية النساء ، فمَن رضيت منكنَّ بالتخلي عن الدنيا، والتحلي برسول الله ﷺ؛ فإنَّ لها من الأجر ما لم تتوقع[4].

---

(١) ينظر: العين:ج٨/ ١٤٥ ـ ١٤٦، والمفردات للراغب:صـ٦٠ ـ ٦١، ولسان العرب:ج١٤/ ١٣ .

(٢) ينظر: الحجة لابن خالويه: صـ ٢٩٠، وتفسير البحر المحيط ـ لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ): ج٧/ ٢٢١، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الأولى = ١٤٢٢ هـ، والدر المصون للسمين: ج٩/ ١١٧ .

(٣) الالتفات في اصطلاح البلاغيين: التحويل في التعبير الكلامي من اتجاهٍ إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث. ينظر: البلاغة العربية: ج٢/ ٤٧٩ .

(٤) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١٥/ ٣٤٢ .

قلتُ: وقد جاءت القراءات تُنزل نساء النبي ﷺ منازل عظيمة، وتعطيهنَّ الأجر الكبير شريطة التزامهنَّ بما ورد ذكره من طاعة وعمل .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

١ ـ أسرار قراءة حمزة ومَن معه (ويعمل صالحًا يؤتها) :

أ ـ تشير هذه القراءةُ في جلاء إلى تحفيز نسائه ﷺ للوصول إلى درجات الرجال في الأجر، وعليه فيجب العمل المتواصل والمخلَص.

وما أحسنَ قولَ البقاعي لما قال:" (وتعمل): قرأها حمزة والكسائي بالتحتانية ـ أي: بالياء ـ ردًّا على لفظ (مَن)؛ حثاً لهنَّ على منازل الرجال"[(١)].

ب ـ كما ألحظ فيهما كثرةَ تنبيهه ﷺ وإرشادهنَّ إلى ضرورة الإكثار من الطاعة؛ فأنتنَّ خواص الخواص، ولا بدَّ أن تظهروا ذلك في طاعتِكنَّ وعبادتِكنَّ .

ج ـ كما ألحظ فيهما سيرَ النسق وتحاده على اللفظ، وفي ذلك ما يشبه ضمان النبي ﷺ لذلك؛ إذ إنَّه يخبر ـ بياء الغيبة ـ عن ربِّه جلَّ وعلا، أي: أخبرني ربي ذلك .

٢ ـ أسرار قراءة باقي القراء:

ألحظ فيها أعلى مراتب الرفق، وذلك من خلال الحمل على معنى (ومَن)، أي: نعلم ضعفكنَّ وأنَّكنَّ لا تقوين على مساواة الرجال في الجهد والبذل؛ ولذلك ضاعفنا لكنَّ الأجر متى تحققت منكنَّ الطاعة والجهد، مع وضعنا في الاعتبار ما سبق من ضعفِكنَّ الجسدي، وما يعتريكنَّ من أمور في خلقتِكنَّ .

ب ـ كما أنَّ فيها مزيدًا من البشارة بهذا التعظيم الكائن في (نؤتها)؛ فهي رسالة معظَّمة ومعظِّمة من الله جلَّ وعلا لنسائه ﷺ، وعلى قدر صبرِكن وطاعتكنَّ أكافئكنَّ ، وأنا الله الأكرم .

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: ج١٥/ ٣٤٢ بتصرُّفٍ يسيرٍ.

ج ـ كما أنَّ في الالتفات من الغيبة إلى التكلم ما يشعر بمكانةِ نسائه ﷺ ومكانتِهنَّ ـ رضي الله عنهنَّ ـ عند الله جلَّ وعلا، والتنبيهَ الواضحَ بضرورة مواصلة العمل والطاعة؛ فهنالك ما ينتظركنَّ ويستحق .

*****

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَّ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُّ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣].

أولًا: وصف القراءات ونسبتها:

في هذه الآية الكريمة خلافان قرائيان(١)، هما:

أ ـ قرأ نافع وعاصم وأبوجعفر: (وقَرْن) بفتح القاف .

ب ـ وقرأ بقية القراء: (وقِرن) بكسرها .

٢ ـ اختلاف القراء في (بيوتكن)

أ ـ قرأ ورش وأبو عمرو وأبوجعفر ويعقوب وحفص (بُيوتكن) بضمِّ الباء .

ب ـ وقرأ بقية القراء (بِيوتكنَّ) بكسرها .

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرائية:

تعود القراءات السابقة إلى الجذرين اللغويين : (قر)، (بيت)، ودلالتهما كما يلي:

١ ـ (قر)، والذي يدور معناه حول الثبوت الجامد، وأصله من القُرِّ، أي: البرد؛ لأنَّه يقتضي السّكون،كما أنَّ الحرّ يقتضي الحركة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾ [الأحزاب: ٣٣] وأصله اقْرِرْنَ؛ فحذف إحدى الرّاءين تخفيفًا(٢).

٢ ـ (بيت)، وأصل البيت: مأوى الإنسان بالليل؛ لأنه يقال: بَاتَ: أقام بالليل، وجمعه أَبْيَات وبُيُوت، لكن البيوت بالمسكن أخصّ، والأبيات بالشعر. قال عزّ وجلّ:

---

(١) ينظر: التيسير:صـ ٢٨٠، ٤٧٨، تحبير التيسير: صـ٣٠٢، ٥١٢، والنشر: ج٣/ ١٧٢٠، ١٤٥٧.

(٢) ينظر: المفردات للراغب:ج٢/ صـ٢٢٨، ولسان العرب:ج٥/ ٨٥ .

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا...﴾[النمل:٥٢] ، وقال تعالى: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور:٢٧] ، ويقع ذلك على المتَّخَذِ من حجرٍ ومدرٍ وصوفٍ ووبرٍ، وبه شبّه بيت الشعر، وعبّر عن مكان الشيء بأنه بيته(١)

قلتُ: يلاحظ أنَّ وجه الشبه بين بيت الشعر والبيت الذي يتخذه الإنسان مسكنًا يكمن في أنَّ بيتَ الشعر تسكنه المعاني؛ كما يسكن الإنسانُ بيتَه .

وقد وجَّه العلماءُ القراءاتِ السابقةَ فذكروا أنَّ الفتح والكسر في (وقرن) لغتان، فالفتح على أنَّ أصلَها (واقررن)؛ فحذفوا الراء الأولى لثقل التضعيف، وحولوا فتحتها إلى القاف، وحذفوا الألف أيضًا لأن القاف تحركت فصار (وقَرن) .

وأما قراءة الكسر فيحتمل وجهين، هما:

١ ـ أن يكون من (الوقار)، تقول: وقر يقِرُّ، والأمر منه قروا ، وللنساء (قِرن) مثل عِدن .

٢ ـ أن يكون من قررت في المكان بمعنى الاستقرار فيه(٢) .

أما عن قراءتي الضم والكسر في (بيوتكنَّ)، ونحوها من لفظ (بيوت) حيث ورد؛ فقد قال ابنُ خالويه:" فالحجة لمن ضمَّ: أنَّه أتى بالكلام على أصل ما وجب للجمع؛ لأن هذا الوزن ينقسم في الكلام قسمين: جمعًا كقولك: (فُلوس)، ومصدرا كقولك: «قعد قُعودا». والحجة لمن كسر: أنه لما كان ثاني الكلمة ياء كرهوا الخروج من ضم إلى ياء، فكسروا أول الاسم لمجاورة الياء، ولم يجمعوا بين ضمتين، إحداهما على ياء"(٣).

---

(١) المفردات للراغب: ١٥١ بتصرفٍ يسيرٍ، وينظر: المحكم لابن سيده: ٩/ ٥٢٤ ، ولسان العرب: ٢/ ١٤ .

(٢) الحجة للفارسي: ج٥/ ٤٧٥ ، وحجة القراءات لابن زنجلة: صـ ٥٧٧ـ ٥٧٨ .

(٣) الحجة لابن خالويه:صـ٩٣، وينظر: الحجة للفارسي:ج٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٤، وحجة القراءات لابن زنجلة:صـ١٢٧، وإبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لأبي القاسم شهاب

قلتُ: وقد جاءت الآية الكريمة لتبين مكانة نسائه ﷺ، وإظهارهنَّ في ثوب القدوة لغيرهنَّ، وما يجب عليهنَّ من الاستقرار في البيوت، والتزام الوقار مع الاستقرار، سواء أكانت هذه البيوت كبيرة أم صغيرة؛ فالطاعة منكنَّ واجبة، وهذا لفت نظر إلى ما أولى لهنَّ .

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة:

بعدما دعا جلَّ وعلا نساءه ﷺ، وأمرهنَّ بتقديم الطاعة له ـ جلَّ وعلا، ولرسوله ﷺ، وأوصاهنَّ بعد الخضوع بالقول حتى لا يصيب المريضَ القلبيَ شيءٌ من الفتنة؛ أخذ تعالى في إظهار الأفضل لهنَّ، وما يظهرهنَّ في أبهى حلَّة أليق لباس، فقال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ... ﴾، أي: التزمن الاستقرار والوقار في بيوتكن، ولا تأتين ما كان في الجاهلية الأولى قبل وجود الحجاب، أو الإكثار من الخروج من البيوت، ودخول غيرها، كذا يجب عليكنَّ إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وقبل ذلك وبعده وفي أثنائه التزمن طاعة الله ورسوله ﷺ؛ فإنَّما هي أمور لجلب الخير لكنَّ والتطهير الدائم لكنَّ أهل بيت النبوة الشريفة(١).

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

أولًا: أسرار تنوع قراءتي: (وقرن) بفتح القاف وكسرها .

١ ـ أسرار قراءة نافع ومن معه بفتح القاف: (وقَرن):

أ ـ تشير هذه القراءة إلى فائدة استقرار المرأة في بيتها؛ فالطاعة، وتربية الأبناء وغيرها هي أمور أولى من خروجها من بيتها؛ فتفتن غيرها بمظهرها، أو تُفتن بغيرها .

ب ـ تشدُّ هذه القراءة على عضد وساعد نسائه ﷺ؛ لأنَّهنَّ أمَّهات المؤمنين، وترشدهنَّ إلى أنَّ مكوثهنَّ في بيوتهنَّ ليس خيرًا لهنَّ فحسب، بل إنَّ عليهنَّ عاملا مهما في الدعوة، وهو تعليم نساء المؤمنين ما يجب عليهنَّ، وعليه فإنَّ دورهنَّ داخليٌ وخارجي.

الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة:ج١/ ٣٧٥ ، ت: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١٥/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

ج ـ كما ألحظ فيها ـ من خلال حذف الراء في أصل الكلمة ـ تكرار الأمر بالجلوس في البيوت، وفيه مزية التذكير لمن ينسى .

٢ ـ أسرار قراءة الباقين: (وقِرن) بكسر القاف:

أ ـ ألحظ في هذه القراءة إظهار الوقار في البيوت؛ فليس هنالك منٌّ بِجُلوسِكُنَّ هذا، بل عليكنَّ الطاعة والوقار .

ب ـ كما ألمح فيها الأمر بالخشونة والقوة في الرد على أسئلة الرجال من وراء حجاب؛ وهو لون من الوقار؛ حتى لا يصيب السائل فتنة .

ج ـ كما تشير كسرة القاف إلى ما يجب عليه الأمر في البيوت من لين الجانب للزوج، وخضوع الرقاب في الصلاة، والتواضع في إيتاء الزكاة، والحمد الدائم بأنَّكنَّ أزواج رسول الله ﷺ.

ثانيًا: أسرار قراءة ضم الباء وكسرها من (بيوتكنَّ):

١ ـ السر في قراءة الضم: (بَّيوتكنَّ):

أ ـ ألحظ في هذه القراءة الكريمة الإشارة إلى عظمة بيوت نسائه ﷺ؛ رغم كونها حجرات صغيرة، لكنَّها عدَّت بيوتًا لمنزلتها من الطاعة، ومكانتها في السماء .

ب ـ كما ألمح في الضم ما يتناغى وضمَّ الاستقرار فيها؛ فمتى ما ركنتم إليها وجدتم كلَّ راحةٍ فيها، ويكفيكنَّ ويكفي بيوتَكنَّ وجودُ رسول الله ﷺ . والله أعلم .

٢ ـ السر في قراءة الكسر (بيوتِكن):

أ ـ تشير إلى رضا الله ـ جلَّ وعلا ـ على مظهر بيوتكنَّ، ومن ورائها بث روح الرضا في نساء النبي ﷺ، ولو أرادها تعالى قصورًا لأسكنكنَّ القصور، لكنَّ الآخرة خير لكنَّ وأبقى؛ فلا تحزنَّ بصغرها، ولا رثاثتها .

كما أنَّها تصور حجرات نسائه ﷺ، فهي في غاية التواضع الظاهري، وهي رسالة موجَّهة لنساء العالمين ومفادها: أمرنا أمهاتكم بالمكوث في البيوت المتواضعة؛ فامكثوا في بيوتكنَّ الفاخرة وابتغين الطاعة لربكم وأزواجكم ـ رحمكنَّ الله . والله أعلم .

*****

المطلب الثاني: إظهار مكانة أصحابه ﷺ .

قال تعالى: ﴿... وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح:٢٩] .

أولًا: وصف القراءات ونسبتها :

في هذه الآية الكريمة الواردة في تعظيم النبي ﷺ وأصحابه ثلاثة مواضع قرائية، هي: (شطأه)، (فآزره)، والقراء فيهما على ما يلي:

١ ـ قرأ ابن عامر بخلفٍ عن هشام: (فأَزَره) بالقصر، وقرأ الباقون (فآزره) بالمد.

٢ ـ قرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء (شطَأه)، وقرأ الباقون بإسكانها (شطْأه) [(١)]

٣ ـ قرأ قنبل بهمز ساكنة في (سُؤْقه)، وقرأ الباقون بغير همز هكذا: (سُوقه) .

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرآنية:

تعود القراءات السابقة إلى الجذور اللغوية: (شطا)، (أزر)، (ساق)، ودلالتها كما يلي:

١ ـ (شطا)، ومنه الشاطئ: الجانب، وشطء الزرع: ما خرج منه [(٢)].

٢ ـ (أزر)، ومنه الأزر: القوة والشدة، والإعانة، والإزار: اللباس [(٣)] .

٣ ـ (سوقه)، قيل هو جمع ساق، ومنه السوق: الجلبة والطرد، والساق: حاملة الشجر [(٤)] .

وقد وجَّه العلماء القراءاتِ الستَّ السَّابقةَ فذكروا أنَّ تحريك الطاء وإسكانها لغتان، فهو كالنَّهَر، والنَّهْر [(٥)].

---

(١) ينظر: التيسير:صـ٥١٧،٤٥٩، تحبير التيسير: صـ٤٩٣، ٥٦١، والنشر: ج٣/ ١٦٩١ـ١٧٨٦،١٦٩٢.

(٢) ينظر: المفردات للراغب:ج١/ صـ٥٣٩ .

(٣) ينظر: المفردات للراغب:ج١/ صـ٢٨ .

(٤) ينظر: المفردات للراغب:ج١/ صـ ٥١٣.

(٥) ينظر: الحجة لابن خالويه: ج٦/ ٢٠٤، وحجة القراءات لابن زنجلة: صـ ٦٧٤.

ووجه قراءتي القصر والمد في (فآزره)، فالقصر على أنَّ الهمزة فاء الفعل، والمعنى: قوَّاه، وأما قراءة المد على معنى عاونه، والفاعل هو الشطء، أي: عاون الشطء الزرعَ[١].

ووجه قراءتي الهمز وعدمه في (سوقه) على أنَّهما لغتان، مثل: كأس، وكاس[٢].

قلتُ: ولا يخفى ما في هذه القراءات الكريمة من تسليط الضوء الوضَّاء على قوَّة الصحابة ومعاضدتهم للنَّبي ﷺ؛ حتى صاروا كالساق القوية له، بل والثمار التي تحمل الخير للبشرية، وفي ذلك من التعظيم والشرف للصحابة الأكارم ـ رضوان الله عليهم ـ ما فيه.

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة:

بعدما ختم سبحانه وتعالى بإحاطته بكل الخفايا والظواهر في الإخبار بالرسالة؛ أجاب عن السؤال الذي قد يرد: مَن هو النبي المرسل والخاتَم فقال تعالى:﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّـهِ...الآية﴾، ثمَّ ثنَّى بذكر صحابته الذين يأخذون على عاتقهم أمرَ هذا الدين معهﷺ ، ويدافعون عنه وعن الدين بكل ما يملكون، ولهم من الصفات الظاهرة والباطنة ما يُشعر النبيﷺ بالطمأنينة تُجاه صحابته الكرام، وما يُشعر الصحابة أنفسهم بالتعظيم والفخر، فقد ورد لهم وصف في التوراة وهو شدتهم على أعدائهم، ورحمتهم فيما بينهم، وإكثارهم من السجود والقربى لله جلَّ وعلا، ووصفٌ أيضًا في الإنجيل، وهو أنَّهم مثل الزرع الذي لا ينفكُّ عن النتاج، وهو زرع محمول بسيقان الإيمان والتقوى، وهي ساق ـ يا رسول الله ـ لا تنكسر أبد الدهر[٣].

قلتُ: وقد جاءت القراءات لتؤكد على قوة الروابط بين الصحابة وبعضهم، وبين الصحابة ورسول الله ﷺ، بل وبين الصحابة ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

---

(١) ينظر: الحجة لابن خالويه: ج٦/ ٢٠٤، وحجة القراءات لابن زنجلة: صـ ٦٧٤ ـ ٦٧٥.

(٢) ينظر: الحجة لابن خالويه: ج٥/ ٣٩٢، وحجة القراءات لابن زنجلة: صـ ٥٣٠.

(٣) ينظر: المفردات للراغب: ج١٨/ ٣٣٧ ـ ٣٤٤.

وهذه القراءات تبث الطمأنينة في النبيﷺ ، ويكأنَّها رسالة بضمان الوصول في حياته وبعد مماته ﷺ .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

أولًا: أسرار قراءتي القصر إسكان الطاء وتحريكها بالفتح من (شطأه):

١ ـ ألحظ في قراءة الإسكان ما يكون من ثمار ثابتة، فهي إشارة لثبات النبت وتتابع نتاجه، والمعنى: لو بقي هؤلاء الصحابة بما معهم لكانوا مشعل نور ثابت للدنيا بأسرها .

٢ ـ كما ألحظ في قراءة فتح الطاء ما يشير إلى الاجتهاد وبذل الجهد، وما يأتي من فتوحات بهؤلاء الأكارم .

ثانيًا: أسرار قراءتي (فأَزره) بالقصر، و(فآزره) بالمد:

١ ـ بالبحث والتأمل ألحظ في قراءة القصر السرعة المفرطة في تلبية نداء النبي ﷺ، فلم يشقوا عليه، ولم يخالفوه، بل كانوا خفافًا كالريح الطيبة المرسلة، مسارعين دون تملق لخدمتهﷺ وخدمة دينهم .

٢ ـ كما ألحظ في قراءة المد ما يشير إلى إطالة الصبر في نصرة الدين والنبي ﷺ، فكم تحمَّلوا من مشاقٍّ، وكم مرُّوا بِمِحَن؛ فما كان منهم إلا المعاونة والمطاوعة. حقًّا إنَّهم عظماء .

ثالثًا: أسرار قراءتي الهمز عدمه في سؤقه .

١ ـ ألمح في قراءة الهمز(سؤْقه) ما يشير إلى قوة ثبات هذه الساق؛ فهي تتحمل مالا تتحمله أي ساقٍ بشريةٍ أخرى، وفي هذا إظهار لقوة الصحابة على أعدائهم، أي: ليسوا أصحاب عبادة وحسب، بل هم أشداء، وليس على ظهير الأرض جنود أمثالهم .

٢ ـ كما ألحظ في قراءة عدم الهمز (سوقه) ما يشير إلى رحماتهم وليونتهم وتعاونهم مع إخوانهم، فهم أصحاب صبرٍ على جلب إخوانهم لهذا الدين وتعليمهم، يحملونهم برفق ولين، كما أنَّهم يحبونهم ويدعون لهم بكل خير حتى يكونوا جميًعا في عِداد النَّاجين في الدنيا والآخرة . والله أعلم .

الفصل الثاني

إظهار مكانته ﷺ وتعظيمه عند الناس، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعزيره وتوقيره ﷺ، وتقديم قوله وفعله ﷺ، وملازمة الصلاة عليه ﷺ.

المبحث الثاني: تسليط الضوء على جزاء من عصوه ﷺ ، ومصير المستهزئين به ﷺ .

المبحث الأول: تعزيره وتوقيره ﷺ، وتقديم قوله وفعله ﷺ، ولزوم الصلاة عليه ﷺ، وفيه ثلاثة مطالب، أبدأ بأولها:

المطلب الأول: تعزيره وتوقيره ﷺ.

قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩].

أولًا: وصف القراءات ونسبتُها:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبوعمرو بياء الغيبة في الأفعال الأربعة هكذا: (ليؤمنوا .. ويعزروه ويوقروه ويسبحوه ...).

٢ ـ وقرأ الباقون بتاء الخطاب: (لتؤمنوا .. وتعزروه وتوقروه وتسبحوه ...) [(١)].

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي:

تعود القراءات السابقة إلى الجذور اللغوية (أمن)، (عزر)، (وقر)، (سبح)، ودلالتها كما يلي:

١ ـ (أَمِنَ)، وأصله: طمأنينة النفس وزوال الخوف، ومنه الإيمان: التصديق، والأمانة: ضد الخيانة[(٢)].

٢ ـ (عَزَرَ)، ومنه التعزير: النصرة مع التعظيم، والضرب دون الحدِّ[(٣)].

٣ ـ (وَقَرَ)، والوقر: الثقل في الأذن، ومنه التوقير: الاحترام، والوقار: الحلم والسكون[(٤)].

٤ ـ (سبح)، والسَّبْحُ: العوم، وَهُوَ السّير على المَاء منبسطًا، والسَّابحات: السفن، وسَبَحت النُّجُوم فِي الْفلك سَبْحا؛ إِذا جرت فِي دورانها منبسطة فِيهِ، وسُبحانَ اللهِ،

(١) ينظر: التيسير: صـ٥١٦، تحبير التيسير: صـ٥٦٠، والنشر: ج٣/ ١٧٨٦.

(٢) ينظر: العين:٨/ ٣٨٨، والمفردات للراغب:ج١/ ٤٨، ولسان العرب:١٣/ ٢١.

(٣) ينظر: المفردات للراغب: ج٢/ ٩١ـ ٩٢.

(٤) ينظر: المفردات للراغب: ج٢/ ٥٢٧.

مَعْنَاهُ: تَنْزِيها لله من الصاحبة وَالْولد ونحوها، وأصل التَّسْبِيحُ: المرّ السّريع في عبادة الله تعالى، كما يطلق على الصلاة لاشتمالها عليه (١).

وقد وجَّه العلماء القراءات السابقة فذكروا أنَّ قراءة ياء الغيبة في الأفعال الأربعة رجوعًا إلى قوله تعالى ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾[الفتح:٥] معنى:إنا أرسلناك يا رسول الله ﷺ شاهدًا عليهم، ومبشرًا لهم بالجنة، ونذيرًا من النار؛ ليؤمن بك من آمن ويعزروك ويوقروك، ويسبحون الله تعالى، وفي القراءة بياء الغيبة التفات من الخطاب إلى الغيبة .

أما وجه قراءة تاء الخطاب فهي خطاب للمؤمنين، وتتناسق مع خطاب الله تعالى في الآية التي قبلها للنبي ﷺ، فلمَّا خاطب المرسلِ إليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح: ٨]؛ صَرَف الخطاب بعد ذلك إلى المرسَل إليهم فقال (لتؤمنوا) بمعنى فعلنا ذلك؛ لتؤمنوا أيها الناس بالله ـ جلَّ وعلا، ورسولهﷺ؛ فكأنَّ الخطاب على هذه القراءة مجدَّد لمن أرسل إليهم بعد مخاطبة النبيﷺ (٢).

قلتُ: وقد جاءت القراءات توضح سبيل النجاة للمؤمنين؛ وهو الإيمان بالله ـ جلَّ وعلا، ورسولهﷺ وتعزير الرسول وتقويته وتسبيح الله جل وعلا والإكثار من ذكره، كما توضح لهم أنَّ ذلك يدخلهم الجنَّة، وفي الخطاب المباشر لهم ما يشعرهم بدورهم وهو التلبية الفورية للنداء .

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة:

بعدما خاطب الرسولﷺ ورسالتَه الغرَّاء؛ ذكّر تعالى الغرض منها؛ فقال: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ... ﴾، أي: على قراءة الغيبة: ليؤمن وينصر ويعزر ويقوي الذين حكمنا بإيمانهم ممن أرسلناك إليهم، وعلى قراءة

(١) ينظر: المحكم لابن سيده: ٣/ ٢١١، والمفردات للراغب:٣٩٢ ، والمعجم الاشتقاقي المؤصَّل:٢/ ٩٤٧.

(٢) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة: صـ ٦٧١ ـ ٦٧٢، والدر المصون للسمين : ٩/ ٧١١.

الخطاب فالمعنى: أيها الرسول ومن قضينا بهداه من أمته، مجددين لذلك في كل لحظة مستمرين عليه [1].

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

١ ـ أسرار قراءة ياء الغيبة: (ليؤمنوا .. ويعزروه ويوقروه ويسبحوه ...).

أ ـ ألحظ فيها الإشارةَ إلى علم الله بمن سبق إيمانهم، وفيها طمأنةٌ لقلبه ﷺ بأنَّ هنالك من سيؤمن بك ويعزرك وينصرك ويعطيك حق قدرك، وينزه الله تعالى عن كل وصف مخالف، ويطيل ذكره.

ب ـ كما ألمح فيها رفع الحرج عنه ﷺ وتسليته بأنَّه لن يؤمن بك جميع الخلق، وقد سبق ذلك في علمنا؛ فلا تحزن ممن لم يؤمن .

ج ـ كما ألحظ في الالتفات من الخطاب إلى الغيبة أنَّ الأمر موكَّل إلى اختيار المؤمنين؛ فإن كانوا حقًّا يريدون الجنةَ فهذا طريقها من إيمان وتعظيم وتوقير، وتنزيه .

د ـ كما أنَّ فيها امتدادًا لتعظيم النبي ﷺ فمن مضمون رسالتهﷺ: استمرار هذه الأمور في نفوس المؤمنين بحق إلى يوم القيامة، وفيها من التعظيم ما فيها .

٢ ـ أسرار قراءة الخطاب : (لتؤمنوا .. وتعزروه وتوقروه وتسبحوه ...).

أ ـ ألحظ في هذه القراءة التأكيدَ على إتيان هذه الأفعال الأربعة قولًا وعملًا من جانبِ المؤمنين؛ والمداومةَ على القيام بحق هذه الرسالة في كلِّ زمان ومكان، فلا تنسوا هذه الوصايا؛ فهي دينكم[2] .

ب ـ كما ألمح في جريان النسق على الخطاب الصلةَ الدائمةَ بين المؤمنين والنبيﷺ على مدار الدنيا بأسرها، فلن يكفَّ المؤمنون على تعظيمه وتوقيره ﷺ رُغم تباعد الزمن بينهم وبينهﷺ؛ لأنَّه في قلوبهم .

---

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ج١٨/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لمحمَّد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): ج٢٦/ ١٥٦، الناشر : الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

ج ـ كما يترآى لي كوكبٌ درِّيٌّ في هذه القراءة بتاء الخطاب بنفاد الحجج؛ فهي رسالة مفادها: ليس لكم علينا حُجةٌ، لقد أرسلنا لكم أعظمَ رسولﷺ، والمطلوب ما ذكرناه لكم من إيمان ونصرة وتعظيم، وتنزيه لله تعالى وذكره . والله أعلم .

*****

المطلب الثاني: تقديم قوله وفعله ﷺ على كلِّ قولٍ وفعل.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١] .

أولا: وصف القراءات ونسبتها:

١ ـ قرأ يعقوب بفتح التاء والدال هكذا (لا تَقَدَّموا).

٢ ـ وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الدال هكذا: (لا تُقَدِّموا) [(١)] .

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرائية محل الخلاف:

تعود القراءتان السابقتان إلى الجذر اللغوي: (قدم)، والذي منه قدم الرجل، ومنه التقدم والتأخر، والقِدَم: وجود ما مضى [(٢)] .

وقد وجَّه العلماء القراءتين السابقتين فذكروا أنَّ قراءة الجمهور: (تُقَدِّموا) على أحد وجهين، الأول: أنَّه فعل متعدٍّ وحُذِف مفعوله اقتصارًا كـ (يعطي ويمنع)، أو اختصارًا للدلالة عليه، أي: لا تُقَدِّموا ما لا يصلح ، والثاني: أنَّه فعل لازم، مثل (وجَّه وتوجَّه)، ويشهد لذلك الوجه قراءة يعقوب السابقة (تَقَدَّموا) .

ـ وأمَّا وجه قراءة يعقوب (تَقَدَّموا) فأصلها تتقدَّموا فحُذِفت إحدى التاءين، والمعنى: لا تُقْدِموا على شيء [(٣)] .

---

(١) ينظر: تحبير التيسير: صـ ٥٦٢، والنشر: ج٣/ ١٧٨٧ .

(٢) ينظر: المفردات للراغب:ج٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

(٣) ينظر: الدر المصون للسمين: ج١٠/ ٥، والمغني في القراءات العشر، لمحمد محمد سالم محيسن (ت:١٤٢٢هـ): ج٣/ ٢٥٨، النَّاشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، دار الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط/ الثانية، سنة ١٤٠٨هـ .

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة:

لَمَّا ذكر جلَّ وعلا سورةَ محمَّدٍ وسمَّها باسمه الكريم ﷺ وختم به وبأثره في أتباعه سورةَ الفتح؛ ذكر هنا ما يجل على النَّاس في حقه ﷺ فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ [الحجرات:١].

قلتُ: ولما كان حالُ المخالف لَه ﷺ كحال مَن يمشي وحيدًا شاذًّا؛ جاءت القراءتان السابقتان لمنعه من التقديم والتقدم .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

١ ـ أسرار قراءة جمهور القراء عدا يعقوب: (لا تُقَدِّموا):

ألحظ في هذه القراءة المنع العام من التقدم بما لا يصلح بين يديهﷺ؛ حتى ولو كان المتقدم من أخصِّ الخواصِّ، وهو ما يتوافق مع سبب النزل حيث روى البخاري بسنده أنَّ ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي ملكية أنَّ عبد الله بن الزبير أخبرهم : أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه و سلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة قال عمر بل أمر الأقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت إلا خلافي قال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) . حتى انقضت"[(١)].

ب ـ كما ألمح في حذف المفعول ـ على أنَّ الفعل لازمٌ ـ ذهابَ العقل كل مذهب فيما يُمنع تقديمه بين يديه الكريمتينﷺ فيمتنع الالتباس بالفعل، والتفكير فيه أيضًا [(٢)].

٢ ـ أسرار قراءة يعقوب (لا تَقَدَّموا):

أ ـ تُعاضد هذه القراءةُ القراءة المتواترة على وجه تعدي الفعل وحذف المفعول، ويشير حذف إحدى التاءين منها إلى ضرورة التريث قبل فعل هذه التقدم،

---

(١) ينظر: الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي: ج٤/ ١٥٨٧، ح رقم ٤١٠٩، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، النَّاشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط/ الثالثة ، سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: ج١٨/ ٣٥١ .

والأولى: حذف الفكرة من العقل .

ب ـ كما ألمح فيها التنبيهَ على حدِّ الاجتهاد؛ فما جاء من اجتهادٍ، فلا يُقَدَّم من اجتهاد إذا كان يخالف ما أقرَّه الله جل وعلا، ورسولُه ﷺ .

*****

المطلب الثَّالث: ملازمة الصلاة عليه ﷺ .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦] .

أولًا: وصف القراءات ونسبتها:

١ ـ قرأ نافع بهمز بين الياءين هكذا: (النَّبيئين) .

٢ ـ وقرأ الباقون بترك هذه الهمزة، وبياءين متصلتين هكذا: (النَّبيين) [١].

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرائية محل الخلاف:

تعود القراءتان السابقتان إلى الجذر اللغوي (نبأ) وهو بالهمز من الخبر؛ لأنَّ النَّبيَّ يخبر عن ربه جلَّ وعلا، ومن غير همز من النباوة وهي الرفعة[٢] .

ثالثًا: علاقة القراءتين بسياقهما من السورة:

لَّما قدَّم سبحانه وتعالى صلاته على المؤمنين وعلى رأسهم رسوله الكريم ﷺ وذلك في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...) [الأحزاب:٤٣]؛ أفرد الرسول والقائد ﷺ بالصلاة عليه فقال: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ... ﴾.

قلتُ: وقد أظهرتا هاتان القراءتان سببين من أسباب وجوب الملازمة على الصلاة عليه ﷺ، وهما: أنَّه ﷺ مخبرٌ عن ربِّه جلَّ وعلا، وهذا فيه من الصدق والتزكية ما فيه ، وأنَّه ﷺ صاحب مقام عالٍ وغالٍ ما وصل ولن يصل إليه إنسيٌّ ولا جنِّي،

---

(١) ينظر: التيسير: صـ ٢٨٠، وتحبير التيسير: صـ ٢٨٨.

(٢) ينظر: المفردات للراغب: ج٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥ .

ولا حتى ملَكٌ مقرَّب .

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

١ ـ أسرار قراءة جمهور القراء عدا نافعًا: (النَّبي):

أ ـ أظهرت هذه القراءة رفعةَ المصلِّي عليه ﷺ، فمن أراد منكم أن يذكر عندنا في مقامٍ عالٍ في الرفيق الأعلى، ويُحشر مع النبي ﷺ في مقام عال في الآخرة؛ فليكثر من الصلاة على صاحب المقام الأعظم ﷺ. بأبي أنت وأمي يا رسول الله .

ب ـ كما ألحظ في ليونة الياء ما كان فيه من تواضع ﷺ رُغم علوِّ منزلته وشرفه، فهو الحبيب اللين المحب لكم، الذي قدَّم حاجةَ أمَّتِه على حاجته ﷺ .

أسرار قراءة نافع: (النَّبيء):

ألحظ في هذه القراءة ما فيها من اتصاله المباشر ﷺ بالرفيق الأعلى، وفي المد المتصل ما يؤكد ذلك ويقويه، ومن ورائها الإشارة إلى صدقه في كلِّ أخبر به ﷺ .

كما ألمح في ختام الكلمة بالهمز حرصه وقوَّته صلى الله عليه وسلم في نفع أمته، وإيصال الخير لهم، ومن ورائها رسالة مفادها: يا مَن تذكرون محمَّدًا وتصلون عليه انفعوا أمتكم كما كان يفعل ﷺ .

وبالجملة فإنَّ هاتين القراءتين قد ألحقتا المصلين عليه ﷺ بالرفيق الأعلى، وأمرتهم أن يأخذوا بوصاياه ﷺ من أوامر ونواهي ويحرصوا على تقديم النفع لأمتهم ومجتمعاتهم. والله أعلم .

*****

المبحث الثاني: جزاء من عصوه ﷺ ، ومصير المستهزئين به ﷺ ، وفيه مطلبان،

أبدأ بأولهما، وهو: **جزاء من عصوه ﷺ**.

قال تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾[النِّساء:٤٢].

أولًا: وصف القراءات ونسبتها:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر وأبوجعفر بفتح التاء وتشديد السين هكذا: (تَسَّوَّى).

٢ ـ وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وعاصم ويعقوب بضم التاء وتخفيف السين (تُسَوَّى).

٣ ـ وقرأ الباقون، وهم: حمزة والكسائي وخلف العاشر بفتح التاء وتخفيف السين وإمالة الألف ناحية الكسرة هكذا: (تَسَوَّى) [(١)] .

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرئية محل الخلاف .

تعود القراءات الثلاث السابقة إلى الجذر اللغوي: (سوا)، ومن معانيه: العدل، و الاعتدال، والصيانة عن الإفراط والتفريط، وغيرها[(٢)] .

وقد وجَّه العلماء القراءات الثلاث فذكروا أنَّ قراءة ابن كثير ومَن معه: (تُسَوَّى)، هو تفعل من التسوية، وهو مبني لما لم يسمّ فاعله، والمعنى: تمنوا لو يُجعَلون والأرض سواء .

ووجه قراءة نافع ومَن معه: (تَسَّوى)، فأصلها تتسَّوى؛ فأدغمت التاء في السين لقربها، وأسند الفعل للأرض، والمعنى: ودُّوا لو يتسسون هم بها فيكونون ترابًا، لا تتسوى هي بهم .

ووجه قراءة حمزة ومَن معه: (تَسَوى) على حذف إحدى التاءين من تتسوى، ونسبة الفعل إلى الأرض أيضا ، فهي في المعنى كالقراءة السابقة[(٣)] .

---

(١) ينظر:التيسير: صـ٣٢٨، وتحبير التيسير: صـ ٣٤٠، والنشر: ج٣/ ١٥٠٤.

(٢) ينظر: المفردات للراغب: ج١/ ٥١٨.

(٣) ينظر: معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء (ت:٢٠٧): ج١/ ٢٦٩، ت/ أحمد يوسف النَّجاتي، وصاحباه، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط/

قلتُ: لَمَّا عاين هؤلاء النار ورأوا ما ينتظرهم استدعاهم المقام إلى تمنِّي أن يكون كالبهائم والتراب، لكن لا يصيرون إلى النار، وقد جاءت القراءات الكريمة لتبين تمنِّيهم هذا بطرق متعددة

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة:

ذكر أبو حيان في البحر المحيط أنَّ التنوين في (يومئذٍ....) من أول الكريمة التي معنا هنا محل الدراسة هو تنوين العوض، عوض عن حذف الجملة السابقة، والتقدير يوم إذ جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا؛ يود الذين كفروا بالله وعصوا رسوله، ولم يأت وعصوك؛ لما في ذكر الرسول من الشرف والتنويه بالرسالة التي هي أشرف ما تحمَّلها الإنسان من الله تعالى؛ فهي سبب السعادة في الدارين، وقتها يتمنَّى هؤلاء الكافرون ـ على قراءتي (تَسَوَّى) و (تّسَّوى) ـ أن لو تنشق الأرض ويكونون فيها، وعلى قراءة (تُسَوى)، أي: الله يتولى ذلك بأن يجعلهم والأرض سواء [1].

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

١ ـ أسرار قراءة نافع ومَن معه: (تَسَّوى):

أ ـ تشير هذه القراءة الكريمة إلى تمنِّي هؤلاء انشقاق الأرض وابتلاعهم؛ حتى لو كان ابتلاعها لهم في أبعد قعر لها، وقد تمنَّوا هذا الأمر الأكثر استحالةً لما عاينوه من هول وفظاعة .

ب ـ كما أنَّها تشير إلى تكرار طلبهم، وهو آخر وأبعد مراحل الطلب، أي: نذهب إلى أبعد مكان من قاع الأرض ولو كنَّا أحياء؛ فالأرض ألطف من النار.

٢ ـ أسرار قراءة حمزة ومَن معه: (تَسَوَّى):

أ ـ ألحظ في هذه القراءة الإشارة إلى السعي لتصديق منهجهم حيث قالوا في الدنيا: إن

الأولى، سنة النشر: ... ، والحجة للفارسي: ج٣/ ١٦٢ـ ١٦٣، وحجة القراءات لابن زنجلة: صـ ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيَّان: ج٣/ ٢٦٣ .

هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع؛ فيريدون تصديقه عليهم بأن يكونوا رفاتًا، وألا يحشروا فيعذبوا، والمعنى: كذبنا ونتحمل نتيجة هذا بتطبيقه عمليًّا علينا.

ب ـ كما ألحظ فيها خفَّة طلبهم فهم يرون هذه التسوية من أيسر ما يكون على الله ثم على الأرض، والمعنى: يا أرض ابتلعينا الآن .

٣ ـ أسرار قراءة ابن كثير ومَن معه: (تُسَوَّى):

أ ـ ألحظ فيها احتقارهم لأنفسهم فهم يتمنَّون أن يصيروا ترابًا وتدهسهم جميع الخلائق بأقدامها، فهو أشبه بانتقام منهم لأنفسهم التي أغرتهم بالنجاة وضيعتهم بمعصية الله ورسوله ﷺ.

ب ـ كما ألمح في بناء الفعل للمفعول خفاء الطريقة التي يريدون التسوية بها، لكنَّها ليست الأهم عندهم؛ لأنَّ الأهمَّ عندهم اختفاؤهم من هذا المكان وعدم معاينتهم عذاب الجحيم .

وبالجملة فقد بينت هذه القراءات جزاء من كفر بالله وعصى رسوله ﷺ تمنِّي هؤلاء عدمَ وجودهم على أرض المحشر وتمنيهم المستحيل والأكثر استحالة لبعدهم عن النار .

*****

المطلب الثَّاني: مصير المستهزئين به ﷺ.

قال تعالى: :﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان:٤١ ـ ٤٢].

أولًا: وصفُ القراءات ونسبتُها:

١ ـ قرأ حفص بضم الزاي وواوٍ بعدها هكذا (هُزُوًا) .

٢ ـ وقرأ حمزة وخلف وصلًا بإسكان الزاي وهمزة بعدها وصلًا هكذا (هُزْءًا)، وإذا وقف عليها حمزةُ فله الإبدال واوًا، والحذف .

٣ ـ وقرأ الباقون بضم الزاي وهمزة بعدها هكذا (هُزُءًا) [١] .

ثانيًا: التحليل على المستوى اللغوي والتركيبي للكلمة القرائية .

تعود القراءتان السابقتان إلى الجذر اللغوي (هزأ)، ومنه الهزء: مزح في خفية، والاستهزاء: ارتياد الهزؤ، وهو في حق الله: مجازاتهم على استهزائهم [٢] .

وقد وجَّه العلماء هاتين القراءتين على أنَّهما لغتان، فالتخفيف بالسكون لغة تميم لكراهة توالي ضمتين، والثقيل بالضمتين لغة الحجاز، وقراءة حفص بدون همز لكراهة الإتيان بالهمز بعد ضمة [٣]، والمعنى على كلِّ القراءات: وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم يا رسول الله ﷺ ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك، يقولون: أهذا الذي بعثه الله إلينا رسولًا من بين خلقه [٤]؟.

قلتُ: قد يظهر فرق من خلال مراقبة طريقة استهزاء هؤلاء الكافرين المجرمين من النبي ﷺ فبعضهم يلمزه، وبعضهم يغمزه، وبعضهم يثقل في كلامه وطعنه، وبعضهم يستخدم الإيذاء الجسدي؛ وبهذا كلِّه جاءت القراءات السابقة .

ثالثًا: علاقة القراءات بسياقها من السورة.

بعدما ذكر تعالى تكذيبَ هؤلاء الكافرين المنكرين بالآخرة، وأنَّهم يكذبون بالآخرة لعدم معاينتهم لها؛ أتبعه بذكر تكذيبهم ما لا يمكن التكذيب به ولا التشكيك فيه، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ وقد عبَّر بالمصدر إشارة إلى مبالغتهم في الاستهزاء مع بعده الشديد ﷺ عن ذلك الوصف، ويقولون محتقرين: أهذا الرسول المعظَّم المرسل إلينا؟، ثم أتبعوا كلامهم معجبين: لقد أوشك أن يغرينا عن اتباع آلهتنا وآلهة آبائنا وأجدادنا لكنَّنا

---

(١) ينظر: التيسير: صـ ٢٨٠ـ ٢٨١، وتحبير التيسير: صـ ٢٨٨ ـ ٢٨٩، والنشر: ج٣/ ١٤٣٣.

(٢) ينظر: المفردات للراغب: ج٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ج١٩/ ٢٧٣.

(٤) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة: صـ ١٠٠ ـ ١٠١.

تعاضدنا وصبرنا على غوايته لنا، والحقيقة هي أنَّ هؤلاء أصحاب الضلال الحقيقي وسوف يعرفون ذلك عند معاينتهم الأضرار بالهزائم في الغزوات في الدنيا، وبالنار في الآخرة[١] .

قلتُ: وقد جاءت القراءات المتواترة السابقة لتصف كره المشركين للنبي ﷺ وترجمة ذلك في كلامهم وإيذائهم المتنوع؛ فكأنَّك تراهم يسخرون منه ﷺ بأساليبهم المتنوعة رأي العين.

رابعًا: أسرار التنوع القرائي:

١ ـ أسرار قراءة حفص (هزُوًا):

أ ـ تشير هذه القراءة إلى أقلِّ سخرية وقعت فريق من المشركين، فخفة السكون مع عدم الهمز كفيلان ببيان ذلك .

ب ـ كما ألحظ فيها توارد الاستهزاء وتتابعه، فلا ينفك الاستهزاء يسكن؛ حتى يتضامن معهم (بالواو) فريق آخر يكمل الأمر، فهي جماعات تعاضدت على السخرية منه ﷺ .

٢ ـ أسرار قراءة حمزة وخلف: (هزْءًا).

أ ـ ألحظ فيها النسق التصاعدي للاستهزاء؛ فهنالك فريق يبدأ بالجدال حول دين الإسلام ثم يستهزيء، يسكن ثم يظهر أقوى استهزاءاته .

ب ـ كما ألمح من السكون ثم وجود الهمز ما يخفيه هذا المستهزيء من سوء ثم يخرجه في صورة بشعة لا تليق ببشرٍ منهم، فضلًا عن خير البشر ﷺ، وممَّن يمثِّل هذا الجانبَ الوليدُ بن المغيرة[٢] .

٣ ـ أسرار قراءة باقي القراء: (هزُؤًا).

---

(١) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة: صـ ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٢) ينظر: السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ):ج١/ ٤٩٨ ـ ٥٠٨، ت/ مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٦ م .

أ ـ ألحظ فيها استهزاء السادة وهو الأعنف، فهؤلاء أشرس في الاستهزاء ويضمون تحتهم السفهاء والعبيد فيفعلون الاستهزاء إرضاءً لهم .

ب ـ كما ألحظ فيها وصولَ الأمر للإيذاء الجسدي، ومنه ما رواه البخاري بسنده عن عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال :" بينا رسول الله ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش من المشركين إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة عليها السلام فأخذت من ظهره ودعت على من صنع ذلك فقال النبي ﷺ : (اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف أو أبي ابن خلف)؛ فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر غير أمية وأبي فإنه كان رجلا ضخما فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر "[1].

ـ وبالجملة فقد جاءت هذه القراءات المتواترة لتبيِّن كمًّا وكيفًا ما تعرَّض له النبي ﷺ من قومه، ومعاناته التي عاناها منهم، ومع ذلك لم نقرأ أنَّه تضجر أو حزن منهم، بل حزن عليهم من عدم إيمانهم ، ووجوب النار لهم لقاء كفرهم، وكفي بتلكم من رحمة .

والله من وراء القصد، هو حسبي ونعم الوكيل

(١) صحيح البخاري:ج٣/ ١١٦٣، ح رقم ٣٠١٤، كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر ولا يؤخذ لهم ثمن .

خاتمة ،

وفيها: أبرز النتائج، وأهمُّ التوصيات.

في ختام هذا البحث، وقبل الدخول إلى عرض أبرز النتائج وأهمِّ التوصيات أقول: هذا مقامٌ أكبر مني، ومَن أنا حتى أقول قولتي في حقِّه ﷺ؟!، ولكنَّ الحقيقة أنَّ البحث قد شرف بذكره ﷺ والكلام على صفاته ﷺ، وكم أغدق عليَّ الكريم جلَّ وعلا حتى أكتب عن النَّبي ﷺ . أسأل الله أن يكون بحثًا نافعًا مباركًا فيه .

أولًا: أبرز النتائج:

توصَّل البحث ـ بفضل الله ومنِّه وتوفيقه إلى نتائج كثيرة، أبرزها ما يلي:

١ ـ ليس هنالك رحمة ولا شفاعة من النبي ﷺ للكافرين في الآخرة، وأنَّ رحمته ورأفته مقصورة في الآخرة على المؤمنين فحسب؛ وذلك من خلال أسرار قراءة (رؤف) بالقصر.

٢ ـ لا يُقَدَّم اجتهاد على ما جاء به القرآن والسنَّة، حتى لو كان الغرض منه خيرًا؛ وقد ثبت ذلك من خلال إيراد أسرار قراءة (لاتَقَدَّموا) .

٣ ـ الرد المفحم على منكري السنة ومبطليها من خلال ما نطقت به الأسرار في القراءات الواردة في (تسوى) ، و (هزوا).

٤ ـ ساهمت القراءات في أغلب مواضع هذا البحث بطريق الصريح والتلميح في الرد على المدعين ظلمًا وزورًا أنَّ النبي ﷺ قد نشر دين الإسلام بحدِّ السيف وعلى أسنَّة الرماح،ولعلَّ أخصَّها القراءات الواردة في مواضع الحزن منه ﷺ على عدم إيمان قومه، ومنها: (يحزنك) .

٥ ـ أظهرت القراءات اجتهادَ النبي ﷺ وصحابِته في قيام قدر محدَّد من الليل لم ينقص على الربع، فهل من مشمِّرٍ؟؛ وذلك من خلال أسرار القراءات في (ثلثي).

٦ ـ كما أظهر البحث الترابط الواضح بين دلالة الحديث الشريف على قراءة ما وتعاضده معها على إفادة سرٍّ قرائيٍّ بعينه، من ذلك ما ورد في أسرار قرءة (وخاتَم) بفتح التاء .

ثانيًا: أهمُّ التوصيات:

١ ـ يوصي البحث بالاشتغال بكثرة الصلاة على النبي ﷺ ؛ فذكره ﷺ مع العمل الصالح نجاة.

٢ ـ كما يوصي البحث بدراسة صفاته وأخلاقه وسيرته العطرة ﷺ من خلال القراءات الشاذة؛ ففيها من الفوائد الجمَّة ما فيها .

٣ ـ كما أوصي جميع إخواني ألا يعتبروا ما ذكرتُه هنا بمنزلة نهاية البحث فيما ذكرت، وأن يجتهدوا أكثر؛ فيفتح لهم ما لم يُفتحْ لي .

٤ ـ كما يوصي المشتغلين بالدفاع عنه ﷺ بالبناء على هذا البحث، وإضافة ما في مغازيه وسيرته العطرة عليها ليكتمل البنيان .

٥ ـ كما أوصي جميعَ مَن قرأ هذا البحث أن يعذرني في خللي، وأن يهديني أخطائي؛ فكلنا في محاريب العلم طلابُ .

تمَّ البحث بحمد الله وتوفيقه في ليلة السبت الموافق ٢٥ من جمادى الأولى، سنة ١٤٤٥هـ = الموافق ٩ من شهر ديسمبر ٢٠٢٣ م .

واللهَ أسأل توفيقًا ورشادًا

فهرس المراجع والمصادر

- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة، ت: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي القاهرة .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيٌ، الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ)، ت/أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية = لبنان، ط/ الثالثة، ٢٠٠٦م = ١٤٢٧هـ.
- أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، سنة: ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .
- البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا، وبيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .
- تحبير التيسير في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت/٨٣٣هـ)، ت/ أحمد محمد مفلح القضاة، الناشر: دار الفرقان ، عمٍان، الأردن، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .
- التحرير والتنوير، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لمحمدٍ الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تفسير البحر المحيط ـ لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، ت/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الأولى = ١٤٢٢ هـ.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت/ ٤٤٤ هـ)، ت/ خلف حمود سالم الشغدلي، الناشر: دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى، ١٤٣٦ هـ = ٢٠١٥ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، ت/ أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م .
- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، النَّاشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط/ الثالثة ، سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م .

- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، ت/رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م
- حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد، أبي زرعة ابن زنجلة (ت: حوالي ٤٠٣هـ)، ت: سعيد الأفغاني، ط/... .
- الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، أبي عبد الله (ت/ ٣٧٠هـ)، ت: عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.
- الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيٌّ، أبي علي (ت/ ٣٧٧هـ)، ت: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق ، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣م .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت/ ٧٥٦هـ)، ت/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، ت/ مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٦ م
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، ت/ محمد فؤا عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، ت/ مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ط/ ....
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة ، ١٤١٤ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الأولى = ١٤٢٢هـ.

- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت:٤٥٨)، ت/عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .
- مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، ت/يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .
- معاني القراءات للأزهري، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء (ت:٢٠٧)، ت/أحمد يوسف النَّجاتي، وصاحباه، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط/ الأولى، سنة النشر: ... .
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، لمحمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.
- المغني في القراءات العشر، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (ت:١٤٢٢هـ)، النَّاشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، دار الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط/ الثانية، سنة ١٤٠٨هـ.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى (ت/ ٥٠٢هـ)، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط/....
- النشرفي القراءات العشر لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت/٨٣٣هـ)، ت/ جمال الدين محمد شرف، الناشر: دار الصحابة للطبع والنَّشر، الغربية، جمهورية مصر العربية، ط/ الأولى، ١٤٣٥هـ =٢٠١٤م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط/... .